كـلية الآداب بقنـا

قسم الدراسات الإسلامية

العقيدة الإسلامية

الفرقة الأولى

قسم الدراسات الإسلامية

إعداد

د/ لبنى أحمد كمال الشعراوي

مدرس العقيدة بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب

للعام الجامعي

٢٠٢٤/٢٠٢٥م

بيانات الكتاب

الكلية: الآداب

الفرقة : الأولى

التخصص: العقيدة بقسم الدراسات الإسلامية

تاريخ النشر: ٢٠٢٤م / ٢٠٢٥م

عدد الصفحات:

الرموز المستخدمة

-نص للقراءة والدراسة

-فيديو للمشاهدة

-رابط خارجي

-أنشطة ومهام

-أسئلة للتفكير والتقييم الذاتي

-رسومات وصور توضيحية

المحتوى

الفصل الأول: الإيمان بالله تعالى .

الفصل الثانى :الايمان بالملائكة عليهم السلام .

الفصل الثالث:الإيمان بالرسل والأنبياء عليهم السلام .

مقدمة

تعريف العقيدة وأقسامها وخصائصها

تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً :

تعريف العقيدة فى اللغة : العقيدة من عقد بمعنى معقود { اسم مفعول } وهي تطلق على العهد والحبل والبيع[١]، فكلمة عقيدة هي العهد ، والضمان ، ومن حيث الاشتقاق اللغوي تدل على معنى عام أي ما يعقده الإنسان من التصميم والعزم ، فكأن العقيدة هي العهد المشدود والعروة الوثقى وذلك لاستقرارها ورسوخها في الأعماق ، والاعتقاد مصدر اعتقد كذا إذا اتخذه عقيدة له، بمعنى عقد عليه الضمير والقلب ودان الله به ، وأصله من عقد الحبل والبيع ، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم[٢]

تعريف العقيدة في الاصطلاح : هي ما ربط عليه القلب من تصورات وإرادات وظهر أثره على اللسان والجوارح ما أمكن فالتصورات: هي علم القلب وتصديقه ، والإرادات: هي عمل القلب واستسلامه ، والجوارح: هي الأعضاء الظاهرة من جسم الإنسان ، والتصورات والإرادات هي صلاح القلب الذي به يصلح الجسد كله ،فقال تعالى :" ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ[١]"وقال تعالى :" وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ "[٢]، وقال تعالى :" قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ

---

(١) انظر القاموس المحيط (١/ ٣١٥)،وانظر مختار الصحاح مادة عقد (ص : ١٤٤)

(٢) شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية للإمام محمد بن خليل حسن هرّاس (ت ١٣٩٥هـ) ، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف ، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ (ص : ٦٠) .

([١]) سورة البقرة آية (٢٢)

([٢]) سورة البقرة (١٦٥)

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِين"[١] ،فالعقيدة تحكم التصرفات، وتوجه السلوك، ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات، بل حتى المشاعر التي تعمل في جنبات النفس، هذه كلها تتوقف على صحة العقيدة."[٢]

- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية :**" هي الأمور التي تصدق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب وتكون يقيناً عند أصحابها لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك "[٣] ، **فالعقيدة** هي الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده وقيل عقيدة الإنسان مذهبه أي ما يؤمن به ويراه عن اقتناع قلبي أكيد ، وقد تكون هذه العقيدة دينية يؤمن معتقدها بأفكار وآراء معينة تتصل بالله تعالى ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وقد تكون عقيدة سياسية أو اقتصادية ، وقد تكون هذه العقيدة مبنية على العقل والمنطق أو على الخرافة والوهم ، وقد تكون متفقة مع الدين ، وقد تكون مناقضة له"[٤] وهكذا فإن العقيدة الإسلامية هي الجانب النظري الذي يجب على المؤمن الإيمان به أولاً إيمانا مبنياً على التصديق الجازم الذي لا يتطرق إليه شك مع الشعور بالرضا والقبول والاطمئنان به"[٥]

اسماء علم العقيدة :التوحيد/الايمان/العقيدة/الفقه الاكبر/الشريعة/اصول الدين.

موضوع علم العقيدة : يتناول علم العقيدة اركان الايمان الستة الايمان بالله سبحانه وتعالى. والقدر خيره وشره واليوم الاخر والملائكة والكتب والرسل عليهم السلام.

([١]) سورة آل عمران آية (٣٢)

([٢]) تبسيط العقيدة الاسلامية ، أبو مريم محمد الجريتلي صـ٤

([٣])مجموعة الرسائل للإمام أحمد عبد الحليم بن تيمية (ص : ٤٢٩)

([٤])العقيدة الإسلامية د / عبود عبد الغني . (ص : ١٨) .

([٥])عقيدة المؤمن للمؤلف أبو بكر الجزائرى. ص : ١٩، طبعة الحلبي،القاهرة

أقسام العقيدة : تنقسم العقيدة إلى قسمين:

القسم الأول: العقيدة الصحيحة: وهى التى جاء بها الرسل الكرام عليهم السلام، ولم يدخلها تحريف ولا تبديل، وهذه لا توجد إلا فى الإسلام، وهى عباره عن الأمور التى تصدق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب وتكون يقيناً عند أصحابها لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك ، والعقائد عبارة عن الأصول فلا يطرأ عليها تغيير أو تبديل؛ لأن مصدرها الله تعالى، ولذا تكفل الله بحفظها فى قوله تعالى :" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ "[١]

القسم الثانى: العقيدة الفاسدة: وهى المحرفة لأن التبديل الذي يطرأ على الشيء يغير حاله أو يقلبه إلى شيء آخر يجعله فاسداً ، وعلى هذا فالاعتقاد الفاسد يكون اعتقاداً غير جازم والذي يعتقد اعتقاداً فاسداً لا يجزم به ونجد هذا واضحاً فى العقيدة اليهودية والنصرانية المحرفة؛ لأنها حرفت عقيدتها وبدلتها فأصبحت غير مطابقة للواقع وأصبح اعتقادها فاسداً نتيجة للتبديل والتحريف ويدل على تحريفها قوله تعالى: " يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ"[٢]، فالاعتقاد الفاسد هو الناتج عن التبديل والتحريف، كما يندرج تحت هذا القسم أيضاً العقائد الفاسدة التى هى من وضع البشر؛ لأن علمهم محدود ومقيد ومتأثر بما حولهم من عادات وتقاليد وأفكار، وبذلك يكون مصدر العقائد الفاسدة الأفراد "[٣]

([١])سورة الحجر اَية ٩

([٢])سورة المائدة، اَية (٤١)

([٣])العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة صـ ٢١ .

خصائص العقيدة الإسلامية :

تتميز العقيدة الإسلامية بخصائص عدة من أهمها :

١-العقيدة الإسلامية عقيدة ربانية

فهي العقيدة الوحيدة الباقية بحقيقتها بأصلها الرباني ، أما التصورات الاعتقادية التي جاءت بها الديانات قبلها فقد مسها التحريف فغيرت طبيعتها الربانية وبقيت العقيدة الإسلامية محفوظة الأصول ولم يلتبس فيها الحق بالباطل . قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "[١] .فهي ربانية من عند الله مبرأة من النقص، سالمة من العيب، بعيدة عن الظلم فقال تعالى :" قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ "[٢] ، والخير والبركة والسعادة كلها من بركات الاستقامة على العقيدة فقال تعالى :" وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" [٣] ، وهي عقيدة ربانية فالناس أمامها سواء لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى :" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ " [٤] ، والعقيدة الربانية هي التي تشبع جوعة الفطرة للعبادة، فتجد صاحبها: مطمئن النفس، هادئ البال، قرير العين، ليس بالقلق ولا بالحيران :" فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ"[٥]

([١]) سورة الحجر آية (٩)

([٢]) سورة الأنعام آية (١٦١)

([٣]) سورة الأعراف آية (٩٦)

([٤])سورة الحجرات آية (١٣)

([٥]) سورة الأنعام آية (٨١-٨٢)

٢- العقيدة الإسلامية عقيدة ثابتة :

وثباتها ناتج عن أنها ربانية منزلة من عند الله، وقد انقطع الوحي بالتحاق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى من الجنة، وبقيت النصوص ثابتة إلى يوم الدين لا ينسخها ناسخ ولا يبدلها كافر ، فقال تعالى :"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "[١] ، وهي عقيدة ثابتة محددة لا تقبل الزيادة والنقصان ولا التحريف والتبديل فليس لحاكم من الحكام أو مجمع من المجامع العلمية أو مؤتمر من المؤتمرات الدينية أن يضيف إليها أو يحور فيها وكل تحوير أو إضافة مردود على صاحبه ، فقال تعالى :" أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ "[٢] وثبات العقيدة الربانية يجعل الناس جميعاً خاضعين لدستور القرآن والسنة، وليس هنالك حاكم لا يخضع لقانون ومحكوم يخضع له ، فالله – سبحانه وتعالى :"لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ[٣]"

٣-العقيدة الإسلامية عقيدة مطابقة للفطرة السليمة :

فمن ثمرات الربانية أنها جعلت العقيدة الإسلامية عقيدة الفطرة التي فطر الله الناس عليها فعندما دعا الإسلام البشر على لسان الرسل جميعاً إلى الإيمان بالله والعبودية له وحده كان لهذه العقيدة صدى في أعماق فطرة البشر "[٤] ، لأنها تغذي ما ركب في الإنسان من قوى فكل عقيدة لا توجد فيها فهي مخالفة لفطرة الإنسان ففطرية العقيدة هو دليل على واقعيتها ورسوخها وتقبل الناس لها كما أنها عنصر هام في الأخلاق والسلوك " [٥] ،فهذه العقيدة ليست غريبة عن الفطرة ولا مناقضة لها ، بل هي منطبقة عليها انطباق المفتاح

([١]) سورة الروم آية (٣٠)

([٢]) سورة الشورى آية (٢١)

([٣]) سورة الأنبياء آية (٢٣)

([٤])العقيدة في الإسلام لد/ السيد رزق الطويل : ص : ٨٧ . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٩٨٠.

([٥])الإسلام بين شبهات الضالين أكاذيب المفترين لد / أحمد العسال ص : ١٥ – مطبعة الأزهر ١٩٦٠م .

المحدد على قفله المحكم وهذا هو صريح القرآن:" فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [١]"

٤-العقيدة الإسلامية عقيدة عامة وشاملة :

أكد القرآن الكريم على عموم وشمول العقيدة الإسلامية فقال:"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين"[٢] فهي ليست عقيدة خاصة بزمان معين أو مكان محدد أو جنس محدد ، وإنما هي عقيدة كل الأزمان وكل الأوطان وكل الأجناس و رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة بأصلها لجميع الإنس والجن ومن حين بعثته إلى يوم القيامة فقال تعالى : " وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ "[٣].

وكون العقيدة الإسلامية عامة فهذا يفيد أنها ناسخة لجميع من سبقها من شرائع فقد نسخت التوراة ما ورد في شريعة آدم من تزويج بناته لاخوتهم كما نسخت ما ورد في شريعة نوح من حمل دواب الأرض فقد حرمت الكثير منها ولا يلزم على هذا النسخ ظهور مصلحة كانت خفية لأن المصلحة تختلف باختلاف الأزمان والأحوال .

٥-العقيدة الإسلامية عقيدة خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها :

جعل الله العقيدة الإسلامية عامة للبشر، وخالدة على الدهر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ لما لها من الأثر البيِّن، والنفع الظاهر فى حياة الأفراد والجماعات ، فقال

([١])سورة الروم آية (٣٠)

([٢]) سورة الأنبياء آية(١٠٧)

([٣]) سورة الأحقاف آية (٢٩)

تعالى :"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "[1] فالمعرفة بالله من شأنها أن تفجر المشاعر النبيلة، وتوقظ حواس الخير، وتربى ملكة المراقبة، وتبعث على طلب معالى الأمور وأشرافها، وتنأى بالمرء عن مُحَقَّرات الأعمال.

والمعرفة بالملائكة تدعو إلى التشبه بهم والتعاون معهم على الحق والخير؛ كما تدعو إلى الوعى الكامل واليقظة التّامّة؛ فلا يصدر من الإنسان إلا ما هو حسن، ولا يتصرف إلا لغاية كريمة ، والمعرفة بالكتب الإلهية إنما هى عرفان بالمنهج الرشيد الذى رسمه الله للإنسان كى يصلَ بالسير عليه إلى كماله المادى والأدبى ، والمعرفة بالرسل إنما يقصد بها ترسم خطاهم، والتخلق بأخلاقهم، والتأسى بهم، باعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة، والحياة النظيفة التى أرادها الله للناس ، والمعرفة باليوم الآخر هى أقوى باعث على فعل الخير، وترك الشر ، والمعرفة بالقدر تزود المرء بقوى وطاقات تتحدى كل العِقاب والصعاب، وتصغر دونها الأحداث الجسام.

وهكذا يبدو بجلاء أن العقيدة إنما يقصد بها تهذيب السلوك، وتزكية النفوس وتوجيهها نحو المثل الأعلى – فضلاً عن أنها حقائق ثابتة – وهى تعد من أعلى المعارف الإنسانية إن لم تكن أعلاها على الإطلاق ، ومن ثَمّ تظهر الحكمة واضحة من جعل الإيمان عامًا خالدًا، وفى أن الله لم يُخْل جيلاً من الأجيال، ولا أمة من الأمم، من رسول يدعو إلى هذا الإيمان وتعميق جذور هذه العقيدة."[2]

٦-عقيدةٌ توقيفيةٌ مبرهَنةٌ:

تتميزُ العقيدةُ الإسلامية بأنها توقيفيةٌ، فلا تجاوز فيها للنصوص المثبتة لها، كما إنها عقيدةٌ مبرهنةٌ تقوم على الحجة والدليل،ولا تكتفي في تقرير قضاياها بالخبرِ المؤكّد والإلزام الصارمِ،بل تحترم العقولَ والمبادئَ التي يقوم عليها الدينُ كلُّه، ذلك أنها لا تثبُتُ في جميع

([1])سورة الحجر ، الآية (٩)

([2])العقائد الإسلامية للإمام سيد سابق ،دار الكتاب العربي – بيروت ، صـ١١

جزئياتها وكلياتها إلا بدليلٍ من الكتابِ أو السُّنةِ. بل إنَّ أتباعها منهيونَ عن الخوض في مسائلِها إلا عن علمٍ وبرهانٍ، قال تعالى:" وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً"[1] ،وقال تعالى:" وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"[2] ،كما أنَّ القرآنَ الكريمَ حين يدعوا الناس إلى الإيمان بمفرداتِ العقيدةِ يقيم على ذلك الأدلةَ الواضحةَ من آياتِ الأنفسِ والآفاقِ،فلا يدعوهم إلى التقليدِ الأعمَى أو الإتباعِ على غيرِ هدًى،بل إنه يأمرهُم أن يطلبوا البرهانَ والدليل قال تعالى:" وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"[3] ،ويترتب على البرهنةِ والتوقيفيةِ ما يلي:

ا–تحديدُ مصادر العقيدة بالكتابِ والسنة الصحيحةِ.

ب– الالتزام بألفاظ الكتاب والسنة المعّبر بها عن الحقائق العَقدية.

ت– استعمال تلك الألفاظ فيما سيقتْ لأجله.

ث– عدم تحميل تلك الألفاظ ما لا تحتمل من المعاني.

ج– السكوتُ عن ما سكتَ عنه الكتابُ والسُّنةُ،وذلك بتفويض علمِه إلى الله تعالى وحدَهُ.

ح– أن نقدِّمَ دلالةَ الكتاب والسنة على ما سواهما من عقلٍ أو حسٍّ أو ذوقٍ أو غير ذلك من وسائل المعرفةِ.

ومن أمثلة الدلائل التي ساقها الله عز وجل في القرآن الكريم القائمة على البراهين ما يلي:

([1]) سورة الإسراء آية (٣٦)

([2]) سورة التوبة آية (١١٥)

([3]) سورة البقرة آية ١١١)

*- الدليل العقليُّ قال تعالى:" أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ"[١] .

*-الدليل من الأنفس قال تعالى:" وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ"[٢]

*-الدليل من الآفاق قال تعالى:" مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ "[٣]

([١]) سورة الطور آية (٣٥)

([٢]) سورة الذاريات آية (٢١)

([٣]) سورة الرحمن آية (١٩-٢٠)

الفصل الأول

الإيمان بالله تعالى

الفصل الأول

الإيمان بالله تعالى

مفهوم الإيمان:

١. الإيمان اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ؛ فهو اعتقاد القلب في الله ورسوله ﷺ ،وكل ما جاء به الشرع اعتقاداً جازما لا يرد عليه شك،ولا ريبةٌ .

٢. ثم اتباع ذلك الاعتقاد بعمل الجوارح حتى يطابق الظاهر الباطن.قال الله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (١٥) سورة الحجرات.

وهذا الاعتقاد الجازم لابد أن يكون في أمر مغيَّبٍ عن الناس،فالإيمانُ بهذا الغيب هو الذي يتفاضل فيه الناس ويتفاوتون .

٣. والإيمان يزيدُ بالطاعة وينقصُ بالمعصية،قال تعالى:{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) [الأنفال/٢-٥] }

٤. وله شُعَبٌ كثيرةٌ كما أخبر الصادقُ المصدوقُ،أعلاها لا إله إلا الله،وأدناها إماطة الأذى عن الطريق،فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ ».أخرجه مسلم ٠

٥. وله عرى كثيرةٌ أوثقها:الحبُّ في الله والبغضُ في الله،والموالاةُ في الله والمعاداةُ في الله.فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِىِّ -ﷺ- فَقَالَ « أَىُّ عُرَى الإِسْلاَمِ أَوْثَقُ »[١].قَالُوا الصَّلاَةُ.قَالَ « حَسَنَةٌ وَمَا هِىَ بِهَا ».قَالُوا الزَّكَاةُ.قَالَ « حَسَنَةٌ وَمَا هِىَ بِهَا ».قَالُوا صِيَامُ رَمَضَانَ.قَالَ « حَسَنٌ وَمَا هُوَ بِهِ ».قَالُوا الْحَجُّ.قَالَ « حَسَنٌ وَمَا هُوَ بِهِ ».قَالُوا

[١] – العروة : ما يُستمسك به ويُعتصم من الدين

الْجِهَادُ.قَالَ « حَسَنٌ وَمَا هُوَ بِهِ ».قَالَ « إِنَّ أَوْسَطَ عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِى اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِى اللَّهِ ».أخرجه أحمد،عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :« يَا عَبْدَ اللَّهِ أَىُّ عُرَى الإِسْلاَمِ أَوْثَقُ؟ ».قَالَ قُلْتُ:اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.قَالَ:« الْوَلاَيَةُ فِى اللَّهِ الْحُبُّ فِى اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِى اللَّهِ »السنن الكبرى للبيهقي [1].

٦. ومن انتقضَ إيمانُه بشيء من نواقض الإيمان فكفر،لم تنفعْه بقيةُ شعب الإيمان إن وجدت عنده لقوله تعالى:{ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } (٤٨) سورة النساء،وقال تعالى:{...وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} سورة المائدة.ومن ارتكب المعاصي (غير الكفر والشرك بالله) فهو إلى مشيئة الله،إن شاء عذبه،وإن شاء غفر له،ما دام عنده أصل الإيمان."[2]

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنه – قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ » .وَقُلْتُ أَنَا مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ .(أخرجه البخاري)

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ أَتَى النَّبِىَّ -ﷺ- رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُوجِبَتَانِ فَقَالَ « مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ » (أخرجه مسلم).

و عَنِ الْمَعْرُورِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ – قَالَ « أَتَانِى جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِى أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ » .قُلْتُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى قَالَ « وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى » (أخرجه البخاري)

---

[1] – (ج ١٠ / ص ٢٣٣) برقم(٢١٦٠٠) وهو صحيح

(٢)أَركانُ الإيمانِ علي نايف الشحود حقوق الطبع لكل مسلم الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة ١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م

.فينبغي علينا الحرص على الطاعة والمبادرة إلى العمل الصالح.والمسابقة إلى الخيرات،ليبقى إيماننا في ازدياد،مع المحافظة دوماً على أصل الإيمان وتحصينه،فإنه رأس المال وعروة النجاة الوثقى.

أركان الإيمان

هذه الأركانُ هي الركائز الأساسية التي يقوم عليه البناءُ الإيمانيُّ،وكلها تتعلق بأمور يعتقدها المؤمن اعتقادا جازما بناء على ما ورده من خبر صادقٍ بخصوصها.كما أنَّ هذه الأركان متفق عليها بين جميع الرسالات المنْزلة من عند الله تعالى،حيث دعا كلُّ رسول قومه للإيمان بها كما قال الله تعالى:{ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ} (١٣) سورة الشورى ،ولا يصحُّ إيمان المسلم إلا باعتقاده الجازم بجميع هذه الأركان اعتقادا صحيحا بعيدا عن الشكِّ.

وهذه الأركان هي:الإيمان بالله،والإيمان بالملائكة،والإيمان بالكتب،والإيمان بالرسل،والإيمان باليوم الآخر،والإيمان بالقضاء والقدر.،وهي جميعها متعلقةٌ بالغيب،حيثُ إن اعتقادها مبنيٌّ على ما بلغنا من نصوص الوحيِ بخصوصِها.

الإيمان بالله تعالى:

هو أن يعتقد المرء اعتقادا جازما بقلبه بأن الله تعالى موجودٌ وجودا حقيقيا بذاته،و أنه هو الذي خلق الكون بما فيه بلا شريكٍ،وأنه تعالى موصوفٌ بصفات الكمال كلِّها،ومنزهٌ عن صفات النقص والعيوب،وأنه لا شبيهَ ولا مثيلَ له من خلقهِ قال تعالى:{فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} (١١) سورة الشورى،وأنه وحده المستحقُّ للعبادة بكل أنواعها دون أن يشرك

معه في ذلك أحدٌ غيره،قال تعالى:{ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } (٥) سورة البينة

أدلة وجود الخالق جلّ وعلا وربوبيته:

الدليل الأول دليل الفطرة:

الفطرة السليمة تشهد بوجود الله وربوبيته من غير دليل:

لم يطل القرآن في الاستدلال على وجود الله تعالى، لأنّ القرآن يقرّر أنّ الفطر السليمة، والنفوس التي لم تتلطخ بأقذار الشرك، تُقرّ بوجوده من غير دليل، وليس كذلك فقط، بل إنّ توحيده – سبحانه – أمر فطري بدهي: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

وقد يقال هنا: لو كان التوجه إلى الله أمراً فطرياً لما عبد النّاس في مختلف العصور آلهة شتى.

والجواب: أنّ الفطرة تدعو المرء إلى الاتجاه إلى الخالق، لكنّ الإنسان تحيط به مؤثرات كثيرة تجعله ينحرف حينما يتجه إلى المعبود الحق.

فيما يغرسه الآباء في نفوس الأبناء، وما يلقيه الكتّاب والمعلمون والباحثون في أفكار الناشئة يبدّل هذه الفطرة ويقذرها، ويلقي عليها غشاوة، فلا تتجه إلى الحقيقة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه » [متفق عليه]. ولم يقل يُسلمانِه، لأنّ الإسلام مُوافقٌ للفطرة.

وقد يقال: إذا تركنا الطفل من غير أن نُؤثّر في فطرته هل يخرج موحداً عارفاً بربّه، فنقول: إذا ترك شياطين الإنس البشر، ولم يدّنسوا فطرهم، فإنّ شياطين الجنّ لن يتركوهم،

فقد أخذ الشيطان على نفسه العهد بإضلال بني آدم: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

وأعطي الشيطان القدرة على أن يصل إلى قلب الإنسان، كما في الحديث الصحيح: « إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً ».

والقرآن وصف الشيطان المطلوب الاستعاذة منه بأنّه ﴿ يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ [الناس: ٥]، وقد صح أيضاً أنّ لكل إنسان قريناً من الجنّ يأمره بالشرّ، ويحثه عليه، وفي القرآن ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [ق: ٢٧].

ولا يتخلص المرء من هذا إلا بالالتجاء إلى الله ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ ﴾ [الناس: ١-٦].

وشياطين الجنّ يقومون بدور كبير في إفساد الفطرة وتدنيسها، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم، فكان مما جاء في خطبته: « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كلّ مال نحلته عبادي حَلالٌ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً » [رواه مسلم].

المشركون الذين بُعث إليهم الرسول كانوا يقرّون بوجود الخالق وربوبيته:

العرب الذين خاطبهم الرسول ﷺ كانوا مقرّين بوجود الله، وأنّه الخالق وحده للكون، كما يقرّون بأنّه وحده المدبر،... ولكنهم كانوا يعبدون غيره معه، ولا يخلصون دينهم لله وحده.

وفي معرض إلزام المشركين بالعبودية لله وحده، وإخلاص الدّين له كان يسألهم عن الخالق المالك للسماء والأرض، فكانوا يعترفون، ولا ينكرون، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [لقمان: ٢٥].

فكان يجب ألا نقف عند أدلة وجود الله كثيراً، لأنّ الفطرة الإنسانية تشهد بذلك، ولا يكاد يعرف منكر لوجود الخالق في الماضي إلا النزر اليسير، وهم لا يمثلون في البشرية نسبة تذكر.

إلا أن الانحراف اليوم وصل الدّرك الأسفل، فأصبحنا نرى أقواماً يزعمون أن لا خالق، ويجعلون هذه المقولة مذهباً يقيمون عليه حياتهم، وقامت دول على هذا المذهب تعدّ بمئات الملايين من البشر.

وانتشرت هذه المقولة في كل مكان، وألفت فيها كتب، وأصبح لها فلسفة تدرس، وحاول أصحابها أن يسموها بالمنهج العلمي، ويدللوا عليها.

من أجل ذلك كان لا بدّ أن نتوسع شيئاً ما في الاستدلال على هذه القضية.

الدليل العقلي: المخلوق لا بدّ له من خالق

يحتجّ القرآن على المكذّبين المنكرين بحجة لا بدّ للعقول من الإقرار بها، ولا يجوز في منطق العقل السليم رفضها، يقول تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥- ٣٦).

يقول لهم: أنتم موجودون هذه حقيقة لا تنكرونها، وكذلك السماوات والأرض موجودتان، ولا شك.

وقد تقرر في العقول أنّ الموجود لا بدّ من سبب لوجوده، وهذا يدركه راعي الإبل في الصحراء، فيقول: " البعرة تدلّ على البعير، والأثر يدلّ على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، ألا تدل على العليم الخبير ".

وهذا الذي أشارت إليه الآية هو الذي يعرف عند العلماء باسم: (قانون السببية). هذا القانون يقول: إن شيئاً من [الممكنات] (لا يحدث بنفسه من غير شيء)؛ لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده، (ولا يستقل بإحداث شيء)؛ لأنّه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئاً لا يملكه هو.

ولو رأينا إنساناً انتقل من أسفل بناية إلى أعلاها فلا نستنكر ذلك، ولا نستغربه، لأنّ الإنسان لديه القدرة على ذلك.

فإذا رأينا حجراً كان في ساحة البناية قد انتقل إلى أعلاها، فإنّنا نجزم بأنّه لم ينتقل بنفسه، بل لا بدّ من شخص رفعه ونقله؛ لأنّ الحجر ليس لديه خاصية الحركة والصعود.

ومن الغريب أنّ الناس يجزمون بأنّ المدينة لا يمكن أن توجد من غير موجد، ولا يمكن أن تبني نفسها، ويجزمون بأنّه لا بدّ للحجر من شخص صعد به إلى أعلى، ولكن يوجد فيهم من يجيز أن يصنع الكون من غير صانع، ويوجد من غير موجد، مع أنّ بناء الكون أشدّ تعقيداً وأعظم خلقة ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧].

ولكنّ المنكرين عندما يواجهون بذلك بمنطق علمي يخاطب العقل، لا يستطيعون إلا أن يقروا أو يكابروا.

وبهذا الدليل كان علماء الإسلام ولا يزالون يواجهون الجاحدين، فهذا أحد العلماء يعرض له بعض الزنادقة المنكرين للخالق، فيقول لهم: ما تقولون في رجل يقول لكم: رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، قد أحاطت بها في لجة البحر أمواج متلاطمة، ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية، ليس لها ملاح يُجريها، ولا متعهد يدفعها، هل يجوز في العقل؟.

قالوا: هذا شيء لا يقبله العقل.

فقال ذلك العالم: سبحان الله، إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر، فكيف يجوز قيام هذه الدّنيا على اختلاف أحوالها، وتغيّر أعمالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع ولا حافظ؟! فبكوا جميعاً، وقالوا: صدقت وتابوا.

الدليل الثالث دليل المشاهدة: دلالة الآيات الكونية على خالقها ومبدعها

تعال معي لنقوم بجولة لنرى كيف تعمل قدرة الله في مختلف أرجاء الكون: في الحبّة تلقى في التربة فتنفلق، وتضرب بجذورها في التربة، فيخرج من الحبّة الجامدة حياة تتمثل في سوق، وأوراق، وأزهار تفوح بالشذى، وثمار يتغذى بها الإنسان والحيوان. وفي الإصباح وهو ينبلج... وفي سكون اليل... ومسير الشمس والقمر..﴿ إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام: ٩٥-٩٦]..

وانظر إلى مشهد السحاب كيف يصنعه الله، والبرد كيف يكوّنه ويصرفه ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ [النور: ٤٣].

ويحدثنا الله عن فعله في الظلّ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٤٥-٤٦].

وانظر إلى تصريفه شؤون الحياة والأحياء والليل والنهار: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

لا يكتفي القرآن بأن يرينا قدرة الله وهي تعمل في الكون، وعلمه يحيط بالمخلوقات، وتصريفه للشؤون المختلفة... ولكنّه – مع ذلك – يعرفنا بالغاية التي خلق الكون من أجلها.

خلق الله هذه الأرض من أجل الإنسان ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ [البقرة: ٢٩]. خلقها لنا على نحو يتوافق مع طبيعتنا وتكويننا ويحقق لنا الصلاح، وهذا ما سماه القرآن بالتسخير.

وهو لا يخبرنا بذلك مجرد إخبار، وإنّما يوقفنا على هذا التسخير الذي جعله الله في الكون، ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠]. فالنجوم خلقت لنهتدي بها في ظلمات البر والبحر: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٧].

والأرض والسماء، وإنزال الماء من السماء، والسفن السابحة في البحر، والأنهار الجارية في جنبات الأرض، والشمس والقمر، وتعاقب الليل والنهار... كلّ ذلك مخلوق لنا ولخيرنا ولصلاحنا ﴿ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ *وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

عرّفنا القرآن بأنّ الله خلق هذا الكون وسخّره لنا، فجعله متوافقاً مع جبلتنا، وقدّره تقديراً تصلح به حياة الإنسان، والقرآن يتخذ من هذا الحديث والبيان سبيلاً ليشكر الإنسان ربّه، إذ الإنسان مفطور على حب من أحسن إليه ﴿ هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

ولذلك فقد أفاض القرآن في ذكر النعم التي حباها الله عباده في ذوات أنفسهم ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك: ٢٣].، وفي الكون من حولهم: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ [الزخرف: ١٠-١٢].

وخلق لنا الشمس والقمر على نحو يحقق النفع والصلاح ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥].

والأنعام من الجمال والأبقار والأغنام، وكذلك الخيل والبغال والحمير خلقها لنا على نحو يفيدنا ويتناسب مع طبائعنا وتكويننا ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٥-٨].

والبحر مخلوق لنا أيضاً، وفي خلقه على ما هو عليه ما يحقق لنا الشيء الكثير ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٤].والنحل خلقه الله ليقوم بذلك العمل الرائع، لينتج لنا ذلك الشراب المختلف الألوان، ليتغذى به البشر، ويكون لهم شفاء ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٨-٦٩].

التوحيد

أنواع التوحيد: ثلاثة:

١ – توحيد الربوبية.

٢–توحيد الأسماء والصفات. ويقال له أيضًا: توحيد الخبر، وتوحيد المعرفة والإثبات.

٣– توحيد العبادة ويسمى – أيضًا –: توحيد الإلهية، وتوحيد الإرادة والقصد، وتوحيد الطلب.

١– <u>توحيد الربوبية</u>

فهو توحيد الله– تعالى– بأفعاله. والإقرار بأنه خالق كل شيء ومليكه، وإليه يرجع الأمر كله في التصريف والتدبير ، فهو الذي يُحيي ويميت، وهو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وهو الذي يرسل الرسل، ويشرعّ الشّرائع، ليُحق الحقّ بكلماته، ويُقيم العدل بين عباده شرعًا وقدرًا إلى غير ذلك مما لايُحصيه العد، ولا تُحيط به العبارة. وهذا النوع من التوحيد قد أقرت به الفطرة، وقام عليه دليل السمع والعقل.

ومن أجل هذه الشائبة من الشرك في الربوبية نبه الله على بطلانه، وأنكر على من زعمه فقال– تعالى–: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ – عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون: ٩١ – ٩٢]، فبين– سبحانه– أنه لو كان معه إله يشركه في استحقاقه العبادة لكان له: خلق، وملك، وقهر، وتدبير. إذ لا يستحق العبادة إلا من كان كذلك، ليرجى خيره ونفعه، فيطاع أمره،وينفذ قصده، ويخشى بأسه وبطشه. فلا يعتدى على حدوده، ولا يُنتهك حماه، ولو كان له خلق، وتدبير، وملك، وتقدير لعلا على شريكه، وقهره إن قوي على ذلك ليكون له الأمر وحده، ولذهب بخلقه، وتفرد بملكه دون شريكه. إن لم يكن لديه القوة والجبروت ما يفرض به سلطانه على الجميع. فإن من صفات الرب– تعالى– كمال العلو، والكبرياء، والقهر، والجبروت. وفي معنى هذه الآية قوله– تعالى–: {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} [الإسراء: ٤٢]،إذا كان المعنى المراد لاتخذوا

سبيَلاَ إلى مغالبته. وقيل: المعنى لاتخذوا سبيلا إلى عبادته، وتأليهه، والقيام بواجب حقه. وابتغوا إلى رضاه سبيلا. كما قال- تعالى-: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} [الإسراء: ٥٧]

وقد استخلص بعض العلماء من ذلك دليلا سموه: دليل التمانع، استدلوا به على توحيد الربوبية. قالوا: لو أمكن أن يكون هناك ربان يخلقان، ويدبران أمر العالم لأمكن أن يختلفا بأن يريد أحدهما وجود شيء، ويريد الآخر عدمه، أو يريد أحدهما حركة شيء، ويريد الآخر سكونه. وعند ذلك إما أن يحصل مراد كل منهما، وهو محال. لما يلزمه من اجتماع النقيضين، وإما أن يحصل مراد واحد منهما دون الآخر فيكون الذي نفذ مراده هو الرب دون الآخر لعجزه، والعاجز لا يصلح أن يكون ربا.

٢- توحيد الأسماء والصفات:

توحيد الأسماء والصفات وأما توحيد الأسماء والصفات: فهو أن يسمى الله ويوصف، بما سمى ووصف به نفسه، أو سماه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف، ولا تأويل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

ومن تبصر في العالم، وعرف شئونه وأحواله تبين له كمال تعلقه خلقًا وأمرًا بأسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، وارتباطه بها أتم ارتباط، وظهر له أن الوجود كله آيات بينات، وشواهد واضحات على أسماء الله، وصفاته.

وقد ذكر (ابن القيم) في: " مدارج السالكين " طريقين لِإثبات الصفات:

١ - الوحي الذي جاء من عند الله- تعالى- على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢ - الحس الذي شاهد به البصير آثار الصنعة قال- رحمه الله تعالى- في بيان الطريق الأول:

فأما الرسالة فإنها جاءت بإثبات الصفات إثباتًا مفصلا على وجه أزال الشبهة، وكشف الغطاء، وحصل العلم اليقين، ورفع الشكّ المريب، فثلجت له الصدور، واطمأنت به القلوب، واستقر به الإيمان في نصابه. ففصلت الرسالة الصفات، والنعوت، والأفعال، أعظم من تفصيل الأمر والنهي، وقررت إثباتها أكمل تقرير. فما أبلغ لفظه وأبعده من الإجمال، والاحتمال، وأمنعه من قبول التأويل، ولذلك كان التأويل لآيات الصفات، وأحاديثها بما يخرجها عن حقائقها من جنس تأويل آيات المعاد، وأخباره. بل أبعد منه. لوجوه كثيرة ذكرتها في كتاب: " الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ". بل تأويل آيات الصفات بما يخرجها عن حقائقها، كتأويل آيات الأمر والنهي سواء، فالباب كله باب واحد، ومصدره واحد، ومقصده واحد، وهو إثبات حقيقتها، والإيمان بها.

وقد ذكرنا في كتاب الصواعق أن تأويل آيات الصفات، وأخبارها بما يخرجها عن حقائقها هو أصل فساد الدنيا والدين، وزوال الممالك، وتسليط أعداء الإسلام عليه إنما كان بسبب التأويل. ويعرف هذا من له اطلاع، وخبرة بما جرى في العالم. ولهذا يُحرِّم عقلاء الفلاسفة التأويل مع اعتقادهم بصحته؛ لأنه سبب لفساد العالم، وتعطيل للشرائع. ومن تأمَّل كيفية ورود آيات الصفات في القرآن والسنة علم قطعًا بطلان تأويلها بما يخرجها عن حقائقها، فإنها وردت على وجه لا يحتمل التأويل بوجه.

فانظر إلى قوله- تعالى-:{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} الأنعام: ١٥٨] هل يحتمل هذا التقسيم والتنويع تأويل إتيان الرب- جلّ جلاله- بإتيان ملائكته وآياته؟ وهل يبقى مع هذا السياق شبهة أصلا في أنه إتيانه بنفسه!وكذلك قوله- تعالى-: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} [النساء: ١٦٣] إلى أن قال: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤] ففرق بين الإيحاء العام، والتكليم الخاص، وجعلهما نوعين، ثم أكد فعل التكليم بالمصدر الرافع لتوهم ما يقوله المحرفون. كذلك قوله:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا} [الشورى:

٥١] فنوع تكليمه إلى تكليم بواسطة، وتكليم بغير واسطة، وكذلك قوله لموسى عليه السلام:{إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي} [الأعراف: ١٤٤] ففرق بين الرسالة، والكلام. والرسالة إنما هي بكلامه. وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنكم ترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر في الصحو ليس بينه سحاب وكما ترون الشمس في الظهيرة صحوًا ليس دونها سحاب» ومعلوم أن هذا البيان، والكشف، والاحتراز ينافي إرادة التأويل قطعًا، ولا يرتاب في هذا من له عقل ودين.

الطريق الثاني: من طرق إثبات الصفات دلالة الصفة عليها، فإن المخلوق يدل على وجود خالقه، وعلى حياته، وعلى قدرته، وعلى علمه، ومشيئته. فإن الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزامًا ضروريا. فما فيه من الإتقان، والإحكام، ووقوعه على أكمل الوجوه يدل على حكمة فاعله وعنايته، وما فيه من الإحسان، والنفع، ووصول المنافع العظيمة إلى المخلوق يدل على رحمة خالقه، وإحسانه، وجوده، وما فيه من آثار الكمال يدل على أن خالقه أكمل منه، فمعطي الكمال أحق بالكمال.وخالق الأسماع، والأبصار، والنطق أحق أن يكون سميعًا بصيرا متكلمًا.وخالق الحياة، والعلوم، والقدر، والإرادات أحق بأن يكون هو كذلك في نفسه، فما في المخلوقات من أنواع التخصيصات هو من أدل شيء على إرادة الرب– سبحانه– ومشيئته، وحكمته التي اقتضت التخصيص، وحصول الإجابة عقيب سؤال الطالب على الوجه المطلوب دليل على علم الرب تعالى بالجزئيات، وعلى سمعه لسؤال عبيده، وعلى قدرته على قضاء حوائجهم، وعلى رأفته ورحمته بهم، والإحسان إلى المطيعين، والتقرب إليهم، والإكرام لهم، وإعلاء درجاتهم يدل على محبته ورضاه. وعقوبته للعصاة، والظلمة، وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدل على صفة الغضب. والسخط، والإبعاد، والطرد، والإقصاء يدل على المقت، والبغض.فهذه الدلالات من جنس واحد عند التأمل.

ولهذا دعا – سبحانه – عباده إلى الاستدلال بذلك على صفاته. فهو يثبت العلم بربوبيته، ووحدانيته، وصفات كماله بآثار صنعته المشهودة، والقرآن مملوء بذلك، فيظهر شاهد اسم

الخالق من المخلوق نفسه، وشاهد اسم الرازق من وجود الرزق، والمرزوق، وشاهد اسم الرحيم من شهود الرحمة المبثوثة في العالم، واسم المعطي من وجود العطاء الذي هو مدرار لا ينقطع لحظة واحدة، واسم الحليم من حلمه على الجناة، والعصاة، وعدم معاجلتهم بالجزاء، واسم الغفور، والتواب من مغفرة الذنوب، وقبول التوبة. ويظهر اسم الحكيم من العلم بما في خلقه، وأمره من الحكم، والمصالح، ووجود المنافع.وهكذا كل اسم من أسمائه الحسنى له شاهد في خلقه وأمره. يعرفه من عرفه، ويجهله من جَهِلَه. فالخلق، والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته.فقال–تعالى–:{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: ٢١] فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرب– جل جلاله– ونعوته، وأسمائه، هي كلها تشير إلى الأسماء الحسنى، وحقائقها، وتنادي بها وتدل عليها، وتخبر بها بلسان النطق والحال.

٣– **[توحيد الإلهية]:** وأما توحيد الإلهية: فهو إفراد الله بالعبادة: قولا، وقصدا، وفعلًا، فلا يُنذر إلا له، ولا تُقرب القرابين إلا إليه، ولا يُدعى في السَراء والضراء إلا إياه، ولا يُستغاث إلا به، ولا يُتوكل إلا عليه، إلى غير ذلك من أنواع العبادة. وهذا النوع هو الذي بعثت به الرسل، وأنزلت به الكتب، وبدأ به كل رسول دعوته، ووقعت فيه الخصومة بينه وبين أمته.وهو الذي من أجله شرع الجهاد، وقامت الحرب على ساقها بين الموحّدين والمشركين.والطريق الفطري لِإثبات توحيد الإلهية الاستدلال عليه بتوحيد الربوبية. فإن قلب الإنسان يتعلَق أولا بمصدر خلقه، ومنشأ نفعه وضرّه، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الوسائل التي تقربه إليه، وترضيه عنه، وتوثق الصلات بينه وبينه، فتوحيد الربوبية باب لتوحيد الإلهية.

من أجل ذلك احتجّ الله على المشركين، وقرّرهم وأرشد رسوله إلى هذه الطريقة، وأمره أن يدعو بها قومه، قال– تعالى–:{قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ – سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ – قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ – سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا

تَتَّقُونَ – قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ – سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ}[المؤمنون: ٨٤ – ٨٩]

فقد استدل بتفرده بالربوبية، وكمال التصرف، وحمايته ما يريد أن يحميه، على استحقاقه وحده للعبادة، ووجوب إفراده بالإلهية وقال–تعالى–: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [البقرة: ٢١] إلى أن قال: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢٢] فجعل– سبحانه– تفرده بالربوبية خلقًا للحاضرين والسابقين، وتمهيده الأرض، ورفعه السماء بغير عمد يرونها، وإنزاله الأمطار ليحيي بها الأرض بعد موتها، ويخرج بها رزقًا لعباده بابًا إلى توحيد الإلهية وآية بيّنة على استحقاقه وحده العبادة. وقال– تعالى–: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ} [يونس: ٣١] إلى أن قال: {فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} [يونس: ٣٥]

فقررهم– سبحانه– بما لا يسعهم إنكاره، ولا مخلص لهم من الاعتراف به من تفرده بالرزق، والملك، والتدبير، والإحياء، والإماتة، والبدء، والإعادة، والإرشاد، والهداية ليقيم به عليهم الحجة في وجوب تقواه دون سواه.

الشرك وأنواعه

إن ضد التوحيد الشرك، وهو ثلاثة أنواع : (شرك أكبر ، شرك أصغر ، شرك خفي) .

والدليل على الشرك الأكبر : قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا). وقال تعالى :" إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار). وهو على أربعة أنواع :

النوع الأول : شرك الدعوة ، ودليله قوله تعالى: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون).

النوع الثاني: شرك النية والإرادة والقصد ، ودليله قوله تعالى (من كان يريد الحياة وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون)

وجاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه برئ ". ومعنى قوله " أنا أغنى الشركاء عن الشرك " معناه : أنا أغنى من العمل الذي فيه شركاء لغيري ، فمن عمل عملا لغير وجهي فأنا منه برئ : يعني من العامل بقي هذا الخبر دليل على أن الله تعالى لا يقبل من العمل شيئا إلا ما كان خالصا لوجهه ، فإذا لم يكن خالصا فلا يقبل منه ، ولا ثواب له في الآخرة ومصيره إلى جهنم.

وقال تعالى: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) . يعني الأعمال التي عملوها لغير الله تعالى أبطلنا ثوابها ، وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس .

النوع الثالث: شرك الطاعة، ودليله قوله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون).

النوع الرابع : شرك المحبة، قال تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله).

النوع الثاني : **الشرك الأصغر** ، وهو الرياء ، قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحد) ، وقال النبي :" أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء ، بقول الله تعالى لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم "، اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم خيرا ، وإنما يقال لهم ذلك؛ لأن أعمالهم كانت في الدنيا على وجه الخداع فيعاملون

في الآخرة على وجه الخداع ، كما قال تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم)

يعني يجازيهم جزاء الخداع فيبطل ثواب أعمالهم ويقول لهم : اذهبوا إلى الذين عملتم لأجلهم، فإنه لا ثواب لأعمالكم عندي لأنها لم تكن لوجه الله تعالى، وإنما يستوجب العبد الثواب إذا كان عمله خالصا لوجه الله تعالى . وروي عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : "للمرائي أربع علامات يعرف بها ، يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان الناس ، ويزيد في العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم به" .

وروي عن شقيق بن ابراهيم قال : يخلص العمل ثلاثة أشياء :

أولها : أن يرى الإذن من الله تعالى ، ليكسر به العجب

الثاني: أن يبتدئ برضا الله ، ليكسر به الهوى

الثالث : أن يبتغي ثواب العمل من الله تعالى ، ليكسر الطمع والرياء.

فهذه الأشياء تخلص الأعمال .

النوع الثالث: شرك خفي، وكفارته قوله صلى الله عليه وسلم: " اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم واستغفرك من الذنب الذي لا أعلم " ، فالكفر الذي يخرج من الملة خمسة أنواع :

النوع الأول: كفر التكذيب، ودليله قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم موى للكافرين).

النوع الثاني: كفر الإباء والاستنكار، ودليله قوله تعالى:(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين } .

النوع الثالث : كفر الشك وهو كفر الظن ، ودليله قوله تعالى (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا • وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا • قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلق من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحد).

النوع الرابع : كفر الإعراض ، قول تعالى (والذين كفروا عما أنذروا معرضون).

النوع الخامس : كفر النفاق ، قال تعالى ذلك: (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقون).

أما الكفر الأصغر فهو لا يخرج من الملة ، وهو كفر النعمة قال تعالي: (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) سورة النحل (١١٢).

الـنـــــفـــاق

المنافق فهو الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر والعياذ بالله وينقسم إلى نوعين :

النوع الأول: اعتقادي، كتكذيب الرسول أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول، أو بغض ما جاء به أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية بانتصار دين الرسول عليه السلام .

النوع الثاني: العملي، ودليله قوله صل الله عليه وسلم: " آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان " وفي رواية أخرى: " وإذا خاصم فجر ، وإذا عاهد غدر " رواه مسلم .

<u>من أنواع الشرك لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه:</u>

قال تعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره)

وروي عمران بن حصين رضي الله عنه : أن النبي رأى رجلا في يده حلقة من صفر ، فقال " ما هذا ؟ قال : من الواهنة . قال : انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا ، فإنك لو مت وهي عليك ، ما أفلحت أبدا ". رواه أحمد.

وعن عقبة بن عامر – مرفوعا ، قال : " من تعلى تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له " . ويؤخذ من هذه الأحاديث عدة مسائل :

الأول : التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوها .

الثانية : إن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح .

الثالثة : أنه لا يعذر بالجهالة

الرابعة : أن من تعلق تميمة فقد أشرك .

الرقي والتمائم

فقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول : **إن الرقي والتمائم والتولة شرك** " [١] .

فالتمائم : شيء يعلق على الأولاد من العين، ولكن إذا كان المعلق من القرآن ، فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ، وجعله من المنهي عنه ، ومنهم ابن مسعود رضى الله عنه .

والرقي: هي التي تسمي العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صل الله عليه وسلم من العين والحمى.

والتولة : فشيء يضعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته "[٢] .

الذبح لغير الله

قال تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له) [٣]

وقال تعالى(فصل لربك وانحر) [٤] .

وروي عن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله صل الله عليه وسلم بأربع كلمات :

"لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والدية ، لعن الله من آوى محدثا

لعن الله من غير منار الأرض " [٥]

فيؤخذ من الحديث ما يلي :

---

١ - رواه أحمد وأبو داود.
٢ - مجموعة التوحيد لابن تيمية (ص ١٦٤).
٣ - سورة الأنعام (١٦٢ – ١٦٣) .
٤ - الكوثر (٢).
٥ - رواه مسلم

١- البدء بلعنة من ذبح لغير الله

٢- لعن من لعن والدية ، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك .

٣- لعن من آوى محدثا وهو يحدث شيئا يجب فيه حق الله قيلتجئ إلى من يجبره من ذلك

النذر لغير الله

قال تعالى: (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) [١] .

وقال تعالى: (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) [٢]

وثبت في الصحيح عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله قال : " من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه " .

فيستفاد من هذا الحديث ما يلي :

أولا: وجوب الوفاء بالنذر .

ثانيا : إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك .

ثالثا : أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به

الاستعاذة بغير الله

قال تعالى: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) [٣].

---

١ - الإنسان، آية (٧) .
٢ - البقرة (٢٧٠) .
٣ - الجن (٦) .

وعن خولة بنت حكيم – رضي الله عنها – قالت : سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول : " من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك "[١].

الاستغاثة بغير الله أو يدعو غيره

قال تعالى: (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين * وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو }[٢]. وقال تعالى: (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة) [٣] ، وقال تعالى: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) [٤] .وروى الطبراني بإسناده " أنه كان في زمن النبي صل الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق ، فقال النبي صل الله عليه وسلم: " أنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله جل وعلا ".

ويؤخذ من الحديث ما يلي :

أولا : أن الاستغاثة لا تكون إلا بالله رب العالمين . فمن استغاث بغير الله عز وجل فقد ارتكب إثما عظيما .

ثانيا : أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله ، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

ثالثا : الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

---

١ - رواه مسلم.
٢ - يونس (١٠٦ ــ ١٠٧) .
٣ - الأحقاف ، آية (٥) .
٤ - النمل ، آية (٦٢) .

صفات الكمال الواجبة لله تبارك وتعالي

إن الله تبارك وتعالي أتصف بصفات الكمال وكمالات الله لا تتناهي ولا تعد ولا تحصي، كما أنه منزه عن كل نقص لا يليق بجلاله.

فيجب علي المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله عز وجل متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن جميع صفات النقائص، وأنه متفرد عن جميع الكائنات، وذلك بإثبات ما أثبته سبحانه لنفسه أو أثبته له رسوله صلي الله وسلم من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف ألفاظها أو معاينتها، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله عز وجل ولا نكيفها بتحديد كهنها وإثبات كيفية معينة لها، ولا نشبهها بصفات المخلوقين.

فالإيمان بصفات الله تبارك وتعالي يرتكز علي الأصول التالية:

أولاً:- تنزيه المولي تبارك وتعالي عن صفات المخلوقين إذ يقول المولي تبارك وتعالي : "ليس كمثله شئ وهو السميع البصير".

فهذه الآية هي دستور أهل السنة والجماعة في باب الصفات فإن الله عز وجل قد جمع فيها بين النفي والإثبات، فنفي عن نفسه المثل وأثبت لنفسه سمعا وبصرا، فدل هذا علي أن المذهب الحق ليس هو نفي الصفات مطلقاً، كما هو شأن المعطلة ولا إثباتها مطلقاً كما هو شأن الممثلة بل إثباتها بلا تمثيل، فالسلف الصالح كانوا يؤمنون بالله علي هذا الوجه فلا ينفون ولا يحرفون، ولا يكيفون ولا يمثلون.

ثانيا:- الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة دون تجاوزها بالنقص منها أو الزيادة عليها أو تحريفها أو تعطليها.

ثالثاً:- قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية هذه الصفات كقوله تعالي:" لا يحيطون به علما". قال الامام أحمد رحمه الله " لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلي الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: مذهب السلف في هذا الباب واضح كغيره من الأبواب وهو وسط بين التشبيه والتعطيل وهو تسليم كامل لله ورسوله وإيمان بنصوص الصفات من الكتاب والسنة وعدم التعرض لها بالتأويل بحيث تكون تلاوتها تفسيرها، ولا يحاولون إدراك حقيقتها وكيفيتها، لأن ذلك علم استأثر الله به، ولا توهم عندهم تشبيها ولا تجسيماً، بل هي تدل علي الحقائق التي تليق بالله وحده " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير"، " ولا يحيطون به علماً" ، "ولم يكن له كفوا أحد"، وكانوا ينزهون الله علي ضوء هذه النصوص ولا يكادون يفهمون من الإثبات التشبيه، ولا من التنزيه التعطيل، هذه هي القاعدة عندهم، وإثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل. وإنما لجأ أهل الكلام إلي التعطيل والتأويل؛ لأن قلوبهم المريضة قد فهمت الإثبات علي أنه تشبيه لله عز وجل – بخلقه فقالوا بالتعطيل والتأويل.

وسنتحدث عن الصفات الواجبة لله تبارك وتعالي وما يستحيل وما يجوز في حقه.

<u>ونورد توضيح ذلك فيما يلي:</u>

الواجب في حقه تعالي:

الواجب: هو الأمر الثابت الذي لا يقبل الانتقاء ومن ثم يجب علي المكلف أن يعتقد أن الله تعالي متصف بالصفات الجليلة القديمة الثابتة بالأدلة التفصيلية القطعية الثبوت وهي ثلاث عشرة صفة تتمثل فيما يلي:

١) الوجود وضده العدم
٢) القدم وضده الحدوث
٣) البقاء وضده الفناء
٤) قيامه بنفسه وضده المشابهة للحوادث
٥) الوحدانية وضدها التعدد
٦) العلم وضدها الجهل
٧) الإرادة وضدها الكراهية
٨) الحياة وضدها الموت
٩) القدرة وضدها العجز

١٠) السمع وضدها الصمم

١١) البصر وضدها العمي

١٢) الكلام وضدها البكم

وإليك الكلام تفصيلآ عن كل صفة من هذه الصفات.

أولآ: صفة وجود الله تبارك وتعالي:

ما من إنسان إلا وعنده شعور ذاتي أقوي من الشعور بالجوع والعطش بأنه مخلوق، وأن له خالقا، وأن العالم الذي يعيش فيه ويتمتع به موجدا حكيما رحيما قويا قادرا علي كل شئ. قال تعالي: " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون" [١].

فالدين الحق هو الفطرة والخلقة التي خلق الله الإنسان عليها، لا يشك في ذلك ذو عقل يفكر به تفكيرا حرا بعيدا عن مؤثرات البيئة والتقاليد والمواريث الفاسدة، وما من إنسان غفل عن الله تعالي في وقت من الأوقات أو أنكر وجود الله متأثرا بالمللين إلا وجاءت عليه أوقات سمع فيها نداء ضميره، وصراخ ذاته الباطنة، وهتاف وجدانه والكل يقول له: إنك صنعة الله وعبد الله، ومخلوق الله.

وإن كل ما يقال سوي ذلك خرافة وهراء وضلال، فلا يمكن أن يفسر هذا العالم العظيم وهذا الكون المصمم تصميما في منتهي الدقة بأنه من صنع الصدفة إن الذي يصدق بالصدفة، ولا يصدق بالقدرة الإلهية التي أوجدت هذا العالم وتتصرف فيه بحريه وكمال ودقة هو إنسان فقد عقله، وضل طريقه، ولا يصلح أن يكون حكيما في أي قضية من قضايا العدل.

ومن الأدلة القطعية من كتاب الله تبارك وتعالي علي وجود الله تبارك وتعالي قوله عز وجل :((إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر

[١] - سورة الروم (٣٠) .

بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) [1].

فالسماء القائمة بغير عمد والنجوم الدائرة في أفلاكها والكواكب المنتظمة حول شموسها والقوانين التي تحكم الروابط بينها ومسار كل نجم في فلك لا يعدوه ، وانتظام كل جرم فيها عائلة مماثلة ، وجري كل شئ بسرعة كل ذلك في فضاء لم يدرك علم الناس سمعته ولم يكشف سوي القليل من أسراره ، مع أن الإنسان علي مدي التاريخ يحاول ويجهد نفسه في المحاولة ليكشف أسرار الكون ، وأكتشف فعلا أسرارا كثيرة انتفع بها ، ولكنه اكتشف مع ذلك أن ما يجهله أضعاف أضعاف ما يعلمه ..

ثانيا: صفة الأول :

معناه : أن الله تعالي أزلي، لا أول لوجوده، ولا أخر لوجوده وأنه لم يسبقه عدم لقوله تعالي : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) [2].

وأخرج الإمام البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي "صلي الله عليه وسلم" قال " كان الله لم يكن شئ قبله وكان عرشه علي الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شئ ".

وقال صلي الله عليه وسلم: "اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ".

ويقول صاحب شرح العقيدة الطحاوية " قديم بلا ابتداء ودائم بلا انتهاء هو معني اسمه الأول والآخر،والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقر في الفطرة فإن الموجودات لابد أن تنتهي إلي واجب للوجود لذاته ، قطعا للتسلسل .

فإن نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك ، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة ، فإن الممتنع لا يوجد ، ولا واجبة الوجود بنفسها ، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة ثم وجدت فعدمها ينفي وجودها

---

[1] - البقرة ، آية (١٦٤).

[2] - الحديد (٢) .

ووجودها ينفي امتناعها . وما كان قابلا للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه كما قال تعالي (أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون) . يقول سبحانه : أحدثوا من غير محدث أم هم أهم أحدثوا أنفسهم ؟

كما قال أيضا صاحب العقيدة الطحاوية إن القديم ليس من أسماء الله الحسني بل جاء الشرع باسمه الأول وهو أحسن من القديم، لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، بخلاف القديم والله تعالي له الأسماء الحسني لا الحسنة [١].

ثالثا : صفة البقاء :

ومعناها : أن الله تعالي لا آخر له . فلا يعتريه فناء، بل البقاء ملازم له أبدا . فالمولي عزوجل يمتنع ويستحيل لحوق العدم به، لأنه تعالي لو جاز وأمكن فى العقل ان ينفى لكان حادثا ولم يكن قديما مع أنه تعالى ثبت قدمه، وأيضا اتفق العقلاء على أم ما لا أول له لا أخر له ، وأن من ثبت قدمه استحال عدمه وضد البقاء والفناء، وهو مستحيل على الله تعالى عقليه وشرعية ، أما العقلية فقد ذكرناها ، وأما الشرعية النقلية فلقوله تعالى :

(كل من عليها فان *ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) [٢]

وقال تعالى: (كل شئ هالك الا وجهة له الحكم واليه ترجعون) [٣]

وقال تعالى : (وتوكل علي الحي الذي لا يموت وسبح بحمده). [٤]

وروي مسلم عن النبي صلي الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالي: "هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وقوله " أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ. [٥]

---

[١] - شرح العقيدة الطحاوية (ص١١٣).
[٢] - الرحمن (٢٦ ــ ٢٧) .
[٣] - القصص (٨٨).
[٤] - الفرقان ، (٥٨) .
[٥] - شرح العقيدة الطحاوية (١١٣) .

صفة الوحدانية : معناها : أن الله واحد في ذاته وواحد في صفاته ، وواحد في أفعاله فليس في الوجود ذات تشبه ذات الله تعالي وليس أحدا متصفا بصفة تشبه الله تعالي وليس لأحد غير الله فعل يشبه فعل الله .

الدليل علي وحدانية الذات : يقول الدليل علي هاتين الآيتين :

الأولي : قوله تعالي :(لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) [١].

الثانية :قوله تعالي :(ماتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم علي بعض سبحان الله عما يصفون) [٢] .

وذلك لأننا لو فرضنا وجود أكثر من إله ، كان لابد أن يكون لكل منهم من العلم والإرادة والقدرة مايخالف بداهة ما للآخر من هذه الصفات وهذا يكون من شأنه أن يؤدي إلي الاختلاف في الأفعال وتدبير العالم ، ومن ثم يكون لابد من فساد السماوات والارض وما بينها .

وقد يؤدي إلي عدم وجود هذا العالم بسبب التضارب بين هذه الصفات التي ثبتت لكل منهم ومايكون عنها من آثار ، ولكن العالم بجميع أجزائه موجود علي أحسن نظام ، فكان لابد ان يكون خالقه وموجده إلها واحدا لا شريك له .

قال تعالي :(سبحانه هو الله الواحد القهار) [٣]

وقال تعالى : (قل هو الله احد الله الصمد * لو يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا احد) [٤]

فهو تعالى أحد : أى واحد فى ذاته وفى صفاته وفى افعاله .

وهو الصمد : أى الغنى الذى يقصده الناس فى حوائجهم لاحتياجهم إليه وغناه عنهم

لم يلد : أى ينبثق عنه ولد ؛ فهو غاية الكمال.

ولم يولد : أى لم ينبثق من غيره ،لأنه لا أول لوجوده.

---

[١] - الأنبياء (٢٢).
[٢] - المؤمنون (٩١)
[٣] - الزمر (٤) .
[٤] - سورة الإخلاص.

ولم يكن له كفوا أحد : أى لم يكن ولم يوجد أحد يساويه ويماثله.

الدليل على واحدانية الصفات :

وهو أنه لو كان لأحد صفة مثل صفة الله تعالى فى الكمال لكان هذا الأحد إلها آخر ، والاله الآخر مستحيل ، فيستحيل على هذا أن يتصف أحد بصفة تشبه صفة الله فى الكمال، فان قيل أن هناك صفات يتصف بها البشر تتفق فى الاسم مع الصفات التى يتصف بها الله فيقال: فلان عالم ، قادر ، مريد ، سميع بصير ، متكلم ، حليم ، رحيم ، كريم .

وقد وصف النبى (صلى الله عليه وسلم)فى القرأن بالرافة والرحمة، كما وصف ابراهيم (عليه السلام) بالحلم ، قال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)، وقال تعالى: (إن إبراهيم لحليم أواه منيب) [١]

فهل الذين يوصفون بما وصف به الاله يعتبرون الهة؟

والجواب: هو أن الله تعالى وصف بصفة فإن هذه الصفة تكون كاملة كمالا مطلقا يليق بالله وأما الانسان وغيره فإنه إذا ما وصف بصفة، فان هذه الصفة تكون مناسبة للموصوف الذى هو الانسان مثلا ، فهى صفة محدوده بحدود الطاقة الانسانية لا تتعداها ، ولذلك حين جاء المرسلون بالمعجزات – وهى امور فوق طاقة البشر – لم ينسبوا هذه المعجزات لأنفسهم ، لأن طاقتهم محدوده، وإنما قالوا: هذه المعجزات من صنع الله وحده، وقد أظهرها على أيدينا دليلا على أنه اختارنا لنبلغ دينه وأننا صادقون فى قولنا "أننا رسل الله ".

الدليل على واحدانية الفعل :

معناها : أنه لا يوجد فعل لغيره تعالى يشبه فعله عز وجل بدليل أنه لو كان لغيره تعالى فعل يشبه فعله تماما لكان هذا الفاعل متصفا بصفات الله، وحينئذا يكون الها اخر . وقد ثبت أن تعدد الإله مستحيل . فوجود فعل لأحد كفعل الله مستحيل[٢] .

---

[١] - سورة هود (٧٥).

[٢] - تبسيط العقائد الإسلامية.

قال تعالى: (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) [١]. وقال تعالى : (فعال لما يريد) [٢].

صفة القدرة: معناها: صفة وجودية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه . فهو تعالى يحيى ويميت ، ويضر وينفع ، ويمرض الناس ، ويشفيهم ، وكل ذلك يجرى على نهاية الكمال دون اختلال فى الكون ولا سبيل للعجز والنقصان عليه سبحانه وتعالى . فالكون كله فى قبضته وتحت سلطان ارادته ، تعالى عما يقول الظالمون علة كبيرا [٣] .

الدليل العقلى على وجوبها لله : الله صانع قديم له مصنوع حادث، وكل من كان كذلك تجب له القدره والاختيار فالله تجب له القدره والاختيار .

الدليل النقلى: قال تعالى: (إن الله على كل شيء قدير) . وقوله :(إن الله هو الرازق ذو القوة المتين) [٤]. (وكان الله على كل شيء مقتدرا) [٥] . الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير) [٦].

صفة الإرادة: الإرادة لغة: القصد ويرادفها فى المعنى المشيئة، ومعناها فى عرف علماء التوحيد واصطلاحهم : أنها صفة قديمه قائمه بذات الله تعالى يخصص بها الممكن ببعض ما يجوز عليه .

ومعنى هذا أن الإراده صفة قديمة مثل كل صفات الله تعالى عملها وتعلقها يكون بالأمور الممكنه فهى لا تتعلق بالواجب ولا بالمستحيل .

وعملها وتعلقها بالممكن يكون من اجل تخصيص الممكن ببعض مايجوز عليه .

---

[١] - القصص (٨٦) .
[٢] - البروج (١٦) .
[٣] - عقيدة المسلم من الكتاب والسنة (ص ٤٨) .
[٤] - الذاريات (٥٨) .
[٥] - الكهف (٤٥)
[٦] - الطلاق (١٢) .

فمثلا : وجود أى شخص من الناس وعدمه امران ممكنان تختار الارادة واحدا منهما وكون هذا الشخص يوجد فى زمن ما دون غيرها من الجهات ، وكون هذا الشخص يوجد بمقدار معين فى الوزن والقياس دون غيره ؛ هذا كله تخصصه الإرادة وتحدده.

فعمل الإرادة فى الممكنات هو أشبه بما نسميه فى عصرنا هذا "بالتخطيط" فهى تخطط تخطيطا مبنيا على العلم ، والقدره تنفذ ما حددته وخصصته وخططته الارادة ، وعلى هذا تكون القدرة مثل الإرادة أيضًا بالممكنات ولا تتعلق ولا تعمل فى الوجبات ولا فى المستحيلات لأن الواجب عقلا هو الأمر الثابت الذى لا يبل الانتقاء والعدم .

والقدرة مثل الإرادة أيضًا فى صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى غير أن عملها وتعلقها بالممكن يكون لإيجاده أو إعدامه على وفق إرادته .

والإرادة والقدرة تشملان جميع الممكنات ، فلا يخلق من ملك الله أمر لم يريده وإلا بقدرته وإلا كان غافلا أو مكرها والكل مستحيل على الله تعالى، كما لا يقع فى ملك الله أمرا إلا بقدرته وإلا كان عاجزا والعجز على الله محال فثبت لله تعالى صفتا الإرادة والقدرة واستحال عليه أن يكون مكرها أو عاجزا ،قال تعالى: (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) [١]، وقال سبحانه وتعالى: (فعال لما يريد) [٢]، وقال تعالى:(إن الله يفعل ما يريد) [٣]، وقال تعالى: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميرا) [٤] .

صفة الحياة :

صفة قديمة بالذات العليه تصح لموصوفها الاتصاف بالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر ونحوها من الصفات اللائقة بذاته تعالى .

---

[١] - يس (٨٢).
[٢] - البروج (١٦) .
[٣] - الحج (١٤) .
[٤] - الإسراء (١٦) .

والدليل على وجوبها لله تعالى أنه متصف بالقدرة والإرادة والعلم وكل من كان كذلك تجب له الحياة فالله تجب له الحياة وقد علم بالضرورة وثبت بالنص إن الله سبحانه وتعالى حى وانعقد على هذا إجماع أهل الأديان بل جميع العقلاء .

الدليل النقلى قال الله تعالى: (الله لا اله لا هو الحى القيوم) [١]، قال تعالى: (وعنت الوجوه للحى القيوم) [٢] ، (وتوكل على الحى الذى لا يموت) [٣] .

صفه العلم :

هو صفة قائمة بذاته تعالى تتعلق بالواجب والجائز والمستحيل تعلق أحاطه وشمول بدليل قوله تعالى: (وأن الله قد أحاط بكل شيء علما).

فعلمه تعالى محيط بالأشياء كلها من الثرى إلى العلا فى كل الأزمان أولها وأخرها وهو يختلف عن علم الإنسان ، فعلى سبيل المثال: إذا أخذنا قدرا من القمح ووضعناه فى الأرض فالإنسان يعجز عن علم ما ينتج منه محصول ومن الذى يتغذى به ، وأين يباع ما يباع منه والذى سيزرع منه مره ثانية ، وأما الله تعالى فيعلم ذلك كله كما يعلم تاريخ هذا القدر من القمح منذ أول ظهوره إلى أن وقع فى يد الفلاح، وهذا شمول العلم واحاطته وهو شمول يستحيل مثله للانسان[٤] .

صفة السمع والبصر :

فالسمع صفة من صفات الله تعالى القديمة القائمة بذاته، تتكشف بها جميع المسموعات وسمع الله تعالى ليس باذن وصماخ وغيرها مما يتركب منه أداة السمع عند المخلوقات ، وإنما الله سمع يليق بذاته تعالى ضده وهو الصمم، لأن الصمم نقص والنقص فى حقه تعالى محال، فثبت له صفة السمع فهو يسمع دبيب النمله السودا على الصخرة الملساء فى الليلة الظلماء بلا أذن ولا صماخ .

---

[١] - آل عمران (٢).
[٢] - الفرقان (٨٥)
[٣] - الطلاق (١٢) .
[٤] - عقيدة المسلم (ص ٥٠) .

أما البصير فهو صفة من صفات الله تعالى القديمة القائمة بذاته تعالى تتكشف بها جميع المبصرات. وبصر الله تعالى لا يشبه فى شيء بصر مخلوقاته، وإنما له بصر يليق بذاته. ويستحيل عليه تعالى ضده وهو العمى ،لأنه نقص والنقص فى حقه تعالى محال ومن شرط الخالق المبدع الحكيم أن يكون الله جل جلاله سميعا بصيرا وإلا لم يكن كاملا[١].

قال تعالى حكاية لقول إبراهيم (عليه السلام) لأبيه: (يا أبت لم تعد ما لا يسمع ولا يبصر ويغنى عنك شيئا) [٢] .

وقال لموسى وهارون:(قال لا تخافا أننى معكما أسمع وأرى) [٣]، وقال تعالى:" قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير"[٤].

صفة الكلام :

من صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قدم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام من غير واسطة ، وسمعه جبريل عليه السلام ، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين فى الاخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال تعالى:(وكلم الله موسى تكليما) [٥]. وقال تعالى:(وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب) [٦]، وقال وقال سبحانه (فلما أتاها نودى يا موسى * إنى أنا ربك) [٧].

وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله ، وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : إذا تكلم الله الوحى سمع صوته أهل السماء. [٨]

---

[١] - تبسيط العقائد الإسلامية (ص٩١).
[٢] - مريم (٤٢).
[٣] - طه (٤٦).
[٤] - سورة المجادلة، آية: (١) .
[٥] - النساء (١٦٤).
[٦] - الشورى (٥١) .
[٧] - طه (١١ ــ ١٢) .
[٨] - رواه البيهقي

وروى عن عبد الله بن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " يحشر الله الخلائق يوم القيامه عراة حفاة غر لا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان "[1] .

وفى بعض الآثار أن موسى ـ عليه السلام ـ ليلة رأى النار فهالته ففزع منها فناداه ربه "ياموسى" فأجاب سريعا استئناسا بالصوت فقال: لبيك أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت؟، فقال: أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى قال: كذلك أنت يا إلهى فكلامك اسمع أم كلام رسولك ؟ قال بل كلامي.

وقال الإمام الطحاوى :" إن القران كلام منه الله منه بدأ بلا كيفيه قولا ، وأنزله على رسوله وحيا وصدقة المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق كلام البرية . فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر؛ وقد ذمه الله وعابه واوعده سقر حيث قال:(إن هذا إلا قول البشر* سأصليه سقر)[2]. علمنا وأيقنا أنه قول: " خالق البشر ولا يشبه يشبه قول البشر "[3] .

وقال شيخ الإسلام: "إن القرآن كلام الله منزل ، غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، وأن الله تكلم به حقيقة ، ولا يجوز إطلاق القول : بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة منه ، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف، لم يخرج بذلك عن أن كلام الله حقيقة ، فان الكلام إنما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا ، وهو كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف [4].

واختلف العلماء فى مسالة صفة الكلام والراجح ما ذهب إليه أهل السنة وغيرهم من السلف والخلف على أن الكلام الله غير مخلوق ، وأن ما بين دفتى المصحف كلام الله.

---

[1] - رواه البخاري.
[2] - المدثر ، آية (٢٥ ــ ٢٦) .
[3] - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي الحنفي (ص ١٦٧).
[4] - العقيدة الوسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٥٧ ــ ٥٨) .

والذى يدل عليه كلام الطحاوى رحمة الله أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء وكيف شاء وأن نوع كلامه قديم ، وكذلك ظاهر كلام الإمام حنيفه رضى الله عنه فى الفقه الأكبر فإنه قال : "والقرآن فى المصاحف مكتوب وفى القلوب محفوظ وعلى الألسن مقروء ، وعلى النبى صلى الله عليه وسلم منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، والقرآن غير مخلوق، وما ذكر الله في القرآن عن موسي عليه السلام وغيره ، وعن فرعون وإبليس فإن ذلك كلام الله اخبارا عنهم ، وكلام موسي وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله لا كلامهم، وسمع موسي عليه السلام كلام الله تعالي، فلما كلم موسي بكلامه الذي هو من صفات لم يزل، وصفاته كلها علي خلاف صفات الخلوقين[١] .

أما المعتزلة فقد فسروا كلامه تعالي بناء علي حقيقة الكلام عندهم فقالوا: إن كلامه تعالي أصوات وحروف ليست قائمة بذاته تعالي، بل يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ أو جبريل أو النبي صلي الله عليه وسلم، وهو حادث وأن القرآن فعل من أفعال الله [٢].

[١] - العقيدة الطحاوية (ص ١٧٦ ــ ١٧٧) .
[٢] - المرجع السابق (ص ١٧٨) .

الفصل الثانى

الايمان بالملائكة عليهم السلام

تعريف الملائكة لغةً واصطلاحاً

أولاً: تعريف الملائكة لغةً: اسم جمع تكسير مفرده:ملَك، ولأهل العلم فيه قولان:

القول الأول :إنه مشتق من (أَلَكَ) مهموز الأصل ،والميم فيه زائدة ، أصله مألك بتقديم الهمزة ، ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملأك فيكون (ملائكة)على وزن مفاعلة[١]، فلفظ الملائكة أصله من الألوك يُقَالُ: أَلَكَنِي إليه أي أَرْسلني إِلَيْهِ وَالْمَأْلُكةُ وَالْأَلُوكَةُ [٢] ، هى الرسالة ، فمعنى لفظ الملائكة على هذا الاشتقاق الرسل وسميت الملائكة بهذا الاسم للرسالة ؛ لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه،ورسله لتنفيذ أوامره فى تدبير الكون . وهذا قول جمهور العلماء.

القول الثاني : إنه مشتق من" مَلك "غير مهموز الأصل، والهمزة فيه زائدة، فيكون ملائكة على وزن فعائلة، فلفظ الملائكة على هذا أصله ":الملك "وهو الأخذ بالقوة، من الفعل "مَلك "الذي يدل على قوة في الشيء وشدة وسميت الملائكة به؛ لأنهم أولوا قوة وشدة." [٣] ، وقد وصفهم الله بذلك في كتابه فقال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" [٤].

والمعنيان مجتمعان مؤتلفان في الملائكة؛ فهم رسل الله، يرسلهم الله إلى من شاء من عباده، وما شاء من أمر يدبرونه، وهم أولوا قوة وشدة، يدبرون بأمر الله شئون الكون موكلون

([١])لسان العرب (٤٩٦/١٠)، لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ،الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ

([٢])مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (٣٨٤/١)، لفخر الدين الرازي ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة الثالثة – ١٤٢٠ هـ وانظر الكشاف (١٢٤/١) الزمخشري دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

([٣])جواهر التفسير(١٦/٣)،للخليلى ،مكتبة الاستقامة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م .

([٤])سورة التحريم :آية (٦)

بالجمادات والحيوانات والنباتات والأرض والسموات، وهذه الأعمال التي يقومون بها تحتاج إلى قوة وشدة.

ثانياً : تعريف الملائكة اصطلاحاً:

دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على أن الملائكة خلق من خلق الله سبحانه وتعالى اصطفاهم لتنفيذ أوامره الكونية والشرعية ، فخلق بعضهم لعبادته كما خلق الجن والإنس ،وهم أحياء عقلاء ناطقون ،وجعل الله الملائكة رسله وسفراءه إلى خلقه لإبلاغ وحيه ،فأكرمهم الله بهذا ووصفهم بذلك، فقال تعالى :" وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ."[1]

تعريف الملائكة كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة :

"هم عباد الله المكرمون والسفرة بينه تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام "الكرام" خلقا وخلقا والكرام على الله تعالى "البررة" الطاهرين ذاتاً وصفةً وأفعالاً، المطيعين لله عز وجل وهم عباد من عباد الله عز وجل، خلقهم الله تعالى من النور لعبادته"[2] .

وقال العلامة الشيخ محمد بن أحمد السفاريني[1]:" أن الملائكة – عليهم السلام – ذوات قائمة بأنفسها قادرة على التشكل؛ بالقدرة الإلهية، وقد حكى غير واحد من محققي

([1])سورة الأنبياء (٢٦-٢٩)

([2])معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، (٦٥٦/٦) ، دار ابن القيم – الدمام ،الطبعة : الأولى ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م، ،،فتح البارى فى شرح صحيح البخارى أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،(٣٠٦/٦)، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩،.

العلماء الاتفاق على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون" [٢].

وجوب الإيمان بالملائكة جملةً وتفصيلاً:

الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان الستة ،لا يصح إيمان عبد ما لم يؤمن بهم ،فقال تعالى :" آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "[٣].

فأخبر أن الإيمان بالملائكة مع بقية أركان الإيمان مما أنزله على رسوله وأوجبه عليه وعلى أمته وأنهم امتثلوا ذلك ، وقال تعالى في آية أخرى:"لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ"[٤] .
فجعل الإيمان بهذه الخصال دليل البرِّ – والبرُّ اسم جامع للخير – وذلك أن هذه الأشياء المذكورة هي أصول الأعمال الصالحة، وأركان الإيمان التي تتفرع منها سائر شعبه . كما

([١])هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين (من قرى نابلس) ١١١٤ هـ ،ومن مؤلفاته :معارج الأنوار في سيرة النبي المختار، مجلدين لشرح نونية الصرصري، و تحبير الوفا قي سيرة المصطفى، و كشف اللثام في شرح عمدة الأحكام، و غيرها كثير، توفي بنابلس و دفن فيها عام ١١٨٨ هـ أو ١١٨٩ هـ ا،لأعلام للزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) ،(١٤/٦)، دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

([٢])لوامع الأنوار البهية و سواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية،للسفاريني،(٤٤٦/١)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

([٣])سورة البقرة :آيه ٢٨٥

([٤])سورة البقرة :آية (١٧٧)

أخبر الله عز وجل في مقابل هذا أن من كفر بهذه الأركان فقد كفر بالله: فقال:"وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا"[١] .

وقد دلت السنة كذلك على ذلك، وهو ما جاء موضحًا في حديث جبريل المشهور من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت. قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربَّتها[٢]. وأن ترى الْحُفاة العُراة، العَالة، رِعاءَ الشاء[٣]، يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلق فلبثت مليًّا ثم قال لي: يا عمر! أتدري من السائل؟ قلتَ: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم»[٤] .

([١])سورة النساء : آية(١٣٦)

([٢])قوله (ربتها) :أي سيدتها قوله يربني بنو عمى أي تدبر أمري وتصير لي ربا أي سيدا ، فتح البارى لابن حجر العسقلانى ، (١/١٢١).

([٣])قوله (رعاء الشاء): بكسر الراء ممدود وبضم أوله وبعد الألف هاء تأنيث وهما جمع راع وهو القائم على الماشية ومنه كلكم راع أي حافظ مؤتمن ، انظرفتح البارى لابن حجر ، (١/١٢٣)

([٤])صحيح البخارى محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري /(١/ ١٩) ، الحديث ٥٠ ، كتاب الإيمان /سؤال جبريل صلى الله عليه وسلم ، دار طوق النجاة ،الأولى، ١٤٢٢هـ

وعن جابر بن سمرة [1]– رضى الله عنه – قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ،قالوا :وكيف يصفون عند ربهم يا رسول الله ،قال : "يكملون الصف الأول ويتراصون فى الصف "[2].

و ما قاله الإمام البيهقى : " أن الإيمان بالملائكة ينتظم في معانٍ :أحدهما :لتصديق بوجودهم .

الثاني : إنزالهم منازلهم ، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه ، كالإنس والجن مأمورون مكلفون ، لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه ، والموت عليهم جائز ، ولكنّ الله تعالى جعل لهم أمداً بعيداً ، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه ، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى ، ولا يدعون آلهة كما دعتهم الأوائل .

الثالث : الاعتراف بأنّ منهم رسلاً يرسلهم الله إلى من يشاء من البشر ، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض ، ويتبع ذلك الاعتراف بأنّ منهم حملة العرش، ومنهم الصافّون ، ومنهم خزنة الجنّة ، ومنهم خزنة النار ، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب ،فقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره".[3]

([1])جابر بن سمرة : جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب، له صحبة مشهورة، ورواية أحاديث،شهد فتح المدائن ، مات سنة ست وسبعين .انظر سير أعلام النبلاء (١٨٦/٣).

([2])المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، (٣٢٢/١) ، كتاب الصلاة باب الأمر بالسكون فى الصلاة حديث رقم ١١٩ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت

([3])شعب الإيمان (٢٩٦/١)، للإمام البيهقى ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ ، الحبائك في أخبار الملائك (١٠/١) ، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م ،الحق المبين فى معرفة الملائكة المقربين ، محمد إمام محمد على ، صـ٥، دار الكتب المصرية إدارة شئون الفنية ، الطبعة الأولى ،٢٠٠٧،ميت غمر .

أما الإجماع

فجاء فى مراتب الإجماع : قوله:" واتفقوا ان الملائكة حق وأن جبريل وميكائيل ملكان رسولان لله عز وجل مقربان عظيمان عند الله تعالى، وأن الملائكة كلهم مؤمنون فضلاً، وأن الجن حق، وأن ابليس عاص لله كافر منذ أبى السجود لآدم واستخف به عليه السلام "[١]

وبذلك يكون وجود الملائكة ثابت بالدليل القطعى الذى لا يمكن أن يلحقه شك أو ريب ومن هنا كان إنكار وجودهم كفراً بإجماع المسلمين ، وبنص قوله تعالى :" {وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا"[٢] ، وأن الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن عليه يستلزم الإيمان بالملائكة فإنكار وجودهم إنكار للنبوة والقرآن معاً ."[٣]

([١])مراتب الإجماع فى العبادات والمعاملات والاعتقادات ، لابن حزم الأندلسي ،باب الإجماع في الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع (١/١٧٤)، دار الكتب العلمية ، بيروت.

([٢])سورة النساء : آية ١٣٦.

([٣])كبرى اليقينيات الكونية ،البوطي صـ٢٤٧،دار الفكر المعاصر دمشق، ١٩٩٧م

صفات الملائكة

صفاتهم الخَلْقِيَّةِ

١) أولو أجنحة :

ذكر القرآن الكريم أنَّ للملائكة أجنحة. قال تعالى : {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١) سورة فاطر .

وممن زاد الله في عدد أجنحته جبريل عليه السلام،فعَنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ سَأَلْتُ زِرًّا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (ففَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) [النجم : ٩ – ١١]) قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ مُحَمَّدًا – ﷺ – رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ .[١]

٢) قدراتهم على التمثل بالبشر :

وهب الله سبحانه وتعالى ملائكته القدرة على التمثل بصور البشر. فقال عن جبريل عليه السلام في قصة مريم العذراء {فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} (١٧) سورة مريم،وقال في قصة ضيف إبراهيم من الملائكة عليهم السلام الذين جآءوه على صورة بشر {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ} (٢٤) سورة الذاريات.وكان جبريل عليه السلام يتمثل في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه. وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ،قَالَ : أُنْبِئْتُ ؛أَنَّ جِبْرِيلَ،عَلَيْهِ السَّلاَمُ،أَتَى النَّبِيَّ ﷺ،وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ،فَجَعَلَ يُحَدِّثُ،ثُمَّ قَامَ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأُمِّ سَلَمَةَ : مَنْ هَذَا،أَوْ كَمَا قَالَ ؟ قَالَ : قَالَتْ : هَذَا دِحْيَةُ،قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : ايْمُ اللهِ،مَا حَسِبْتُهُ إِلاَّ إِيَّاهُ،حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ يُخْبِرُ خَبَرَ جِبْرِيلَ،أَوْ كَمَا

[١] – صحيح البخارى– المكنز – (٤٨٥٧) وصحيح مسلم– المكنز – (٤٥٠)

قَالَ.قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ : فَقُلْتُ لأَبِي عُثْمَانَ : مِمَّنَ سَمِعْتَ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ.."[1]

وعَنْ جَابِرٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:عُرِضَ عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ،فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ،كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ،وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ،عَلَيْهِ السَّلاَمُ،فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ،وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ،صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ،فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبُكُمْ،يَعْنِي نَفْسَهُ،وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ،عَلَيْهِ السَّلاَمُ،فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دِحْيَةُ.(رواه مسلم)[2]– يعني أنه يشبهه حين يتمثل في صورته الآدمية .

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنِى أَبِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِىِّ – ﷺ – فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِى عَنِ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِىَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ». قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ». قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ « أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ

---

[1] – صحيح البخارى– المكنز – (٣٦٣٤) وصحيح مسلم– المكنز – (٦٤٦٩)

[2] – المسند الجامع – (٤ / ٦٩٩) (٢٩٣٠) وصحيح مسلم– المكنز – (٤٤١) –الضرب : الخفيف اللحم الممشوق المستدق

يَتَطَاوَلُونَ فِى الْبُنْيَانِ ». قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِى « يَا عُمَرُ أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلُ ». قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ »[1].

٣) لا ينالهم سأم ولا عجز ولا فتور في عبادتهم :

عَلاَقَةُ الْمَلاَئِكَةِ بِاللَّهِ هِيَ عَلاَقَةُ الْعُبُودِيَّةِ الْخَالِصَةِ وَالطَّاعَةِ وَالاِمْتِثَال وَالْخُضُوعِ الْمُطْلَقِ لأِوَامِرِهِ عَزَّ وَجَل ، قَال تَعَالَى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم، وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ، قَال اللَّهُ تَعَالَى : {إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} (٢٠٦) سورة الأعراف .

وَهُمْ مُنْقَطِعُونَ دَائِمًا لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ أَمْرِهِ، كَمَا وَرَدَ فِي الآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ .[2]

وعَنْ جَابِرِ بن عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعُ قَدَمٍ ، وَلا شِبْرٍ ، وَلا كَفٍّ ، إلا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، قَالُوا : جَمِيعًا سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، إلا أَنَّا لَمْ نُشْرِكْ بِكَ شَيْئًا ".[3]

وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ: " هَلْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ ؟ " قَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ، وَمَا تُلَامُ أَنْ تَئِطَّ ، وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ إِمَّا سَاجِدٌ، وَإِمَّا قَائِمٌ "[4]

---

[1] – صحيح مسلم– المكنز – (١٠٢) –الأُنف : المستأنف الذى لم يسبق به قدر –يتقفر : يطلب ويتتبع ويجمع

[2] – إغاثة اللهفان ٢ / ١٢٢ .

[3] – المعجم الكبير للطبراني – (٢ / ٢٥٥) (١٧٣٠) والصحيحة (١٠٥٩) حسن لغيره

[4] – شرح مشكل الآثار – (٣ / ١٦٧) (١١٣٤) صحيح

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ "[1]

فالملائكة كثيرو الطاعة والعبادة لله تعالى: حمدا وتسبيحا وتنزيها وطاعةٌ لأوامره دون كللٍ أو مللٍ، قال الله تعالى : {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) }[الأنبياء/١٩-٢٠]

والملائكة،الذين هم عند اللّه بهذا المكان الرفيع،لم تخرج بهم منزلتهم هذه عن أن يكونوا عبادا من عباد اللّه يدينون له بالولاء ويتقربون إليه بالعبادة : « يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ ».. إنهم فى عبادة دائمة متطلة،وذكر للّه لا يفترون عنه.

٤) قدراتهم العظيمة :

لقد خلق الله الملائكة بقدرات عظيمة تتناسب مع ما كلفهم به من أعمال، مثل : تدبير أمر الخلائق،وحراسة السماء،وإهلاك الظالمين،ونفخ الأرواح وقبضها،ونفخ الصور،والقيام بأعمال خزانة الجنة والنار كما سيأتي تفصيله .

٥) تأذيهم مما يتأذى منه بنو آدم :

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ – قَالَ « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ الثُّومِ – وَقَالَ مَرَّةً مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ – فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ » رواه مسلم.[2].

٦) لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون :

---

[1] – شرح مشكل الآثار – (٣ / ١٦٨) (١١٣٥) حسن

[2] –صحيح مسلم– المكنز – (١٢٨٢)

قدم النبي إبراهيم عليه السلام لضيفه من الملائكة عجلاً حنيذا فلم يأكلوا منه،قال تعالى :{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨)} [الذاريات : ٢٤ – ٢٨]

قوله تعالى : « فَرَاغَ إِلى أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ »..راغ لأهله : أي مال إلى أهله،وانسرب إليهم فى خفة من غير أن يكاشف ضيفه بما يريد من إكرامهم وإعداد الطعام لهم .. فذلك من شأنه أن يحرج الضيف،ويحمله على أن يطلب إلى مضيفه ألّا يفعل

قوله تعالى : « فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قالَ أَلا تَأْكُلُونَ » ؟ . هنا إيجاز حذف دلّ عليه المقام ..أي فقرّبه إليهم،فلم يمدّوا أيديهم إليه،ولم يقبلوا على الأكل منه،كما هو شأن الضيف حين يقدّم إليه .. الطعام فلما رأى ذلك منهم نكرهم،وأوجس منهم خيفة،وقال : « أَلا تَأْكُلُونَ ؟ »..

قوله تعالى : « فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ »..وهنا كلام محذوف أيضا .. « قال ألا تأكلون ».. فلم يأكلوا،ولم يستجيبوا لهذه الدعوة المجددة إليهم « فأوجس منهم خيفة » أي فازداد إحساسه بالخوف منهم،وقوى عنده الشعور الذي وقع فى نفسه من أول دخولهم عليه،ولقائهم له ..

« قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم » . أي أنهم حين رأوا ما انطبع على وجه إبراهيم من أمارات التوجس والخوف،سكنوا من روعه،وقالوا له : لا تخف،ثم ألقوا إليه بهذه البشرى المسعدة،وهى أن يولد له الولد الذي كان ينتظره منذ شبابه الأول،وها هو ذا وقد بلغ من الكبر عتيّا،وأخلى يديه من هذا الأمل الذي كان يراوده،وخاصة أن امرأته كانت عقيما،ثم اجتمع مع هذا العقم تجاوزها العمر الذي تلد فيه النساء . ها هو ذا يتلقّى هذه البشرى المسعدة.والغلام الذي بشر به هو إسحق،من زوجه سارة .. « والعليم »،مبالغة من

العلم،والعلم كان صفة بارزة من صفات إسحق،كما كان الحلم الصفة البارزة فى إسماعيل،كما يقول سبحانه : « فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ » (١٠١ : الصافات).[١]

٧)- **نفي الأنوثة عنهم** :أنكر القرآن الكريم أشد الإنكار على المشركين الذين وصفوا الملائكة بالأنوثة فقال تعالى: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} (١٩) سورة الزخرف .

وقال في الوجيز : " لا يوصفون بالذكورة والأنوثة،ولا يتناكحون،ولا يتناسلون .والملائكة لا يأكلون ولا يشربون،وإنَّما طعامهم التسبيح والتهليل ولا يملون،ولا يفترون،ولا يتعبون،ويتصفون بالحسن،والجمال،والحياء،والنظام . "[٢]

٨)- **قابليتهم للفناء والموت** :

يجوز في حق الملائكة الفزع والفناء والموت لقوله تعالى: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (٨٨) سورة القصص .ولقوله تعالى : {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ } (٦٨) سورة الزمر.

والملائكة ممن تشملهم الآية لأنهم من ساكني السماء،قال تعالى : {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} (٦٤) سورة مريم.

٩)- **كثرة عددهم** :

قال تعالى في سياق الحديث عن الملائكة : {.. وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ} (٣١) سورة المدثر،

---

[١] – التفسير القرآني للقرآن . موافقا للمطبوع – (١٣ / ٥١٦)

[٢] – الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة – (١ / ٥٤)

إنها كلمة جامعة لإبطال التخرصات التي يتخرصها الضالون ومرضى القلوب عند سماع الأخبار عن عالم الغيب وأمور الآخرة من نحو: ما هذا به أبو جهل في أمر خزنة جهنم يشمل ذلك وغيره، فلذلك كان لهذه الجملة حكم التذييل.

والجنود: جمع جند وهو اسم لجماعة الجيش واستعير هنا للمخلوقات التي جعلها الله لتنفيذ أمره لمشابهتها الجنود في تنفيذ المراد . وإضافة رب إلى ضمير النبي ﷺ إضافة تشريف، وتعريض بأن من شأن تلك الجنود أن بعضها يكون به نصر النبي ﷺ . ونفي العلم هنا نفي للعلم التفصيلي بأعدادها وصفاتها وخصائصها بقرينة المقام، فإن العلم بعدد خزنة جهنم قد حصل للناس بإعلام من الله لكنهم لا يعلمون ما وراء ذلك.[1]

وقوله تعالى : « وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ » هو ردّ على المستهزئين الساخرين،الذي اتخذوا من عدد التسعة عشر مادّة للاستهزاء والسخرية،حتى لقد بلغ بهم القول بأن اللّه لا يملك من الجند إلا هؤلاء التسعة عشر،ولو كان يملك أكثر منهم لجعلهم عشرين لا تسعة عشر .. وكذبوا وضلوا،فإن جنود اللّه لا حصر لها،ولا يعلم عددها إلّا هو سبحانه وتعالى.[2]

وقد ورد في حديث الإسراء أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه،فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ "[3]

وعَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « إِنِّى أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ

---

[1] – التحرير والتنوير – (٢٩ / ٢٩٦)

[2] – التفسير القرآني للقرآن . موافقا للمطبوع – (١٥ / ١٢٩٩)

[3] – شعب الإيمان – (٥ / ٤٥٥)(٣٧٠٥) وصحيح البخارى– المكنز – (٣٢٠٧) وصحيح مسلم– المكنز – (٤٢٩) مطولا

لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ »[1].

١٠) – مخلوقون من نور:

كَمَا أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمَلاَئِكَةَ مِنْ نُورٍ ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ – « خُلِقَتِ الْمَلاَئِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ ». (أخرجه مسلم) [2].

فَتَدُل النُّصُوصُ فِي مَجْمُوعِهَا عَلَى أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ مَخْلُوقَاتٌ نُورَانِيَّةٌ لَيْسَ لَهَا جِسْمٌ مَادِّيٌّ يُدْرَكُ بِالْحَوَّاسِ الإِنْسَانِيَّةِ ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا كَالْبَشَرِ فَلاَ يَأْكُلُونَ وَلاَ يَشْرَبُونَ وَلاَ يَنَامُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ ، مُطَهَّرُونَ مِنَ الشَّهَوَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ ، وَمُنَزَّهُونَ عَنِ الآثَامِ وَالْخَطَايَا ، وَلاَ يَتَّصِفُونَ بِشَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَادِّيَّةِ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا ابْنُ آدَمَ[3]،غَيْرَ أَنَّ لَهُمُ الْقُدْرَةَ عَلَى أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِصُوَرِ الْبَشَرِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى[4] .

لكنه لم يبين لنا النور الذي خُلقوا منه،لذا فإننا لا نستطيع الخوض في ذلك وإنما الواجب الاعتقاد بصحته وصدقه والتوقف عنده.

أما متى خُلقوا فليس هذا أيضا مما ذكر،بل الذي جاءت به النصوص أن خلقهم كان قبلَ خلقِ آدم عليه السلام لأنه تعالى أمرهم بالسجود لآدم عند خلقه،قال تعالى : {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ

---

[1] – سنن الترمذى– المكنز – (٢٤٨٢) صحيح لغيره

أطت : الأطيط صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها والمراد كثرة الملائكة –الصعدات : جمع صعد وهى الطرقات –تعضد : تقطع

[2] – برقم(٧٦٨٧) –المارج : لهب النار المختلط بسواها

[3] – شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري ص ٢٠ ط دار الكتب العلمية ، وفتح الباري ٦ / ٣٥٣ .

[4] – فتح الباري ٦ / ٣٤٨ – ٣٥١ ط دار الريان للتراث – القاهرة .

نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } (٣٠) سورة البقرة ،وقال أيضا: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) }سورة الحجر

١١)- عِظمُ خلقهم :

لقد ذكر الله تعالى بعض صفات الملائكة في القرآن العظيم، ومن ذلك عِظم خلقهم فقد قال تعالى عن ملائكة النار : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم ،وقال تعالى عن جبريل عليه السلام : إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) [الحاقة/٤٠، ٤١] ،وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ - قَالَ « أُذِنَ لِى أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ ».(أخرجه أبو داود)[١].

فهذه النصوص وغيرها تبين عظمة الملائكة،فالواجب علينا الإيمانُ بكل ما جاء في ذلك،مع أننا لا نستطيع تصور كيفياتهم، إذ كيف نتصور مخلوقات ذات أجنحة مثنى وثلاث ورباع والجناحُ الواحد يسد الأفقَ،وجبريل عليه السلام له ستمائة جناح كما ورد بذلك الحديث. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - جِبْرِيلَ فِى صُورَتِهِ وَلَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الأُفُقَ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاوِيلِ وَالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ. (أخرجه أحمد)[٢]

صفاتهم الخُلقية

١- أدبهم مع خالقهم سبحانه وتعالى :

---

[١] - برقم(٤٧٢٩) وهو صحيح

[٢] - برقم(٣٨٢١) وهو صحيح

فلا يقولون شيئاً حتى يقوله سبحانه أو يأمرهم به. قال سبحانه وتعالى: { لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ(٢٧)} [الأنبياء:٢٧].

٢- لا يستنكفون عن عبادة ربهم ولا يستكبرون :

قال تعالى: { لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا(١٧٢)} [النساء:١٧٢]

٣-٤- الكرم والبر :

قال تعالى :{ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) }[عبس : ١٣ - ١٦]

وَهَذِهِ الصُّحُفُ الإِلَهِيَّةُ (الصُّحُفُ المُكَرَّمَةُ) مُعَظَّمَةٌ مُوَقَّرَةٌ،عَالِيَةُ القَدْرِ،مُطَهَّرَةٌ مِنَ النَّقَائِصِ وَلاَ تَشُوبُهَا الضَّلاَلاَتُ . وَتَتَنَزَّلُ هَذِهِ الصُّحُفُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ الكِرَامِ بِوَاسِطَةِ سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ هُمُ المَلاَئِكَةُ المُطَهَّرُونَ،لِيَقُومَ الأَنْبِيَاءُ بِإِبْلاَغِهَا إِلَى النَّاسِ .

وَالمَلائِكَةُ السَّفَرَةُ هُمْ كِرَامٌ عَلَى اللهِ،وَأَبْرَارٌ وَأَطْهَارٌ لاَ يُقَارِفُونَ ذَنْباً،وَلاَ يَجْتَرِحُونَ إِثْماً،وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ .[١]

قال بن كثير: " أي: خُلقهم كريم حَسَنٌ شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة. ومن هاهنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد."[٢]

وقال الشوكاني: "قال الحسن : كرام عن المعاصي وقيل يتكرمون أن لا يكونوا مع ابن آدم إذا خلا بزوجته أو قضى حاجته،وقيل يؤثرون منافع الناس على منافعهم،وقيل يتكرمون على

---

[١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٦٤٩)

[٢] - تفسير ابن كثير - (٨ / ٣٢١)

المؤمنين بالاستغفار لهم. والبررة جمع بار .. أي أتقياء مطيعون لربهم صادقون في إيمانهم".[1]

٥- الحياء :

عَنْ عَطَاءٍ وَسُلَيْمَانَ ابْنَىْ يَسَارٍ وَأَبِى سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مُضْطَجِعًا فِى بَيْتِى كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ كَذَلِكَ فَتَحَدَّثَ ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ وَلاَ أَقُولُ ذَلِكَ فِى يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ « أَلاَ أَسْتَحِى مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِى مِنْهُ الْمَلاَئِكَةُ ».[2]

٦- التعفف عن أماكن المعصية :

نهى الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - عن اقتناء الكلاب في البيوت كما حرم اقتناء التماثيل التي تعبد أو تعظم صيانة للتوحيد وتجنباً للتشبه بالوثنيين،والملائكة تتنزه من دخول هذه الأماكن التي تقع فيها هذه المعاصي فلا يدخلون بيتا فيه كلب أو صورة.

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا طَلْحَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةُ تَمَاثِيلَ »[3] .

---

[1] - فتح القدير - (٧ / ٤٢٠) والتفسير المنير . موافقا للمطبوع - (٣٠ / ٦٦)

[2] - صحيح مسلم- المكنز - (٦٣٦٢) -تهتش : تغير من الجلسة

[3] - صحيح البخارى- المكنز - (٣٢٢٥) وصحيح مسلم- المكنز - (٥٦٣٦)

وعَنْ أَبِى طَلْحَةَ – رضى الله عنهم – عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ – قَالَ « لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ » [1].

وعَنْ أَبِى طَلْحَةَ الأَنْصَارِىِّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – يَقُولُ « لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ تَمَاثِيلُ ».

٧-عبادة الملائكة لربهم :

الملائكة في عبادة دائمة وطاعة مطلقة،وهم معصومون من ارتكاب المعصية متعبدون بالطاعة. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم.

يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ،اعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى،وَاتَّقُوا مَعْصَيَتَهُ،وَأْمُرُوا أَهْلَكُمْ بِالذِّكْرِ والتَّقْوَى،وَعَلِّمُوهُمْ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيهِمْ،وَمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ،وَأْمُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللهِ لِتُنقِذُوهُمْ وَأَنْفُسَكُمْ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ،التِي يَكُونُ وَقُودُهَا النَّاسُ مِنَ الكَفَرَةِ،وَالحِجَارَةُ،وَتَقُومُ عَلَيهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ،أَشِدَّاءُ عَلَيهِمْ،لاَ يُخَالِفُونَ رَبَّهُمْ فِي أَمْرٍ بِهِ،وَيُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ .[2]

فهم من ذلك الخلق المغيب الذي لا يعلم طبيعته وقوته إلا اللّه وقد قال لنا عنهم : إنهم «لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» فقرر أنهم يطيعون ما يأمرهم به اللّه،وأن بهم القدرة على فعل ما يأمرهم. فهم إذن مزودون بالقوة التي يقدرون بها على كل ما يكلفهم اللّه إياه. فإذا كان قد كلفهم القيام على سقر،فهم مزودون من قبله سبحانه بالقوة المطلوبة لهذه المهمة،كما يعلمها اللّه،فلا مجال لقهرهم أو مغالبتهم من هؤلاء البشر المضعوفين![3]

---

[1] – صحيح البخارى– المكنز – (٣٣٢٢)

[2] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥١١٣)

[3] – فى ظلال القرآن . موافقا للمطبوع – (٦ / ٣٧٥٨)

ومن عبادتهم أنهم يشهدون لله بالألوهية والوحدانية : قال تعالى: {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (١٨) سورة آل عمران.

شهد الله أنه المتفرد بالإلهية، وقَرَنَ شهادته بشهادة الملائكة وأهل العلم، على أجلِّ مشهود عليه، وهو توحيده تعالى وقيامه بالعدل، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء أراده، الحكيم في أقواله وأفعاله.[١]

ومن عبادتهم أنهم لا يفترون عن تسبيحهم لله وتقديسهم له سبحانه. قال تعالى: { وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) [الأنبياء : ١٩،٢٠] }

ولله جَمِيعُ المَخْلوقاتِ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ،خَلْقاً وَمُلْكاً وتَدْبِيراً وَتَصَرُّفاً،وإحياءً وحِسَاباً . . . دُونَ أَنْ يَكُونَ لأحَدٍ في ذَلِكَ شَيءٌ مِنْ سُلْطَانٍ .

ثَمَّ يَقُولُ تَعَالى : إِنَّ الملاَئِكَةَ،الذينَ شَرُفَتْ مَنْزِلَتُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِم،لاَ يَسْتَعْظِمُونَ عِبَادَتَهُ،ولاَ يَكِلُّونَ عَنْهَا،وَلاَ يَتْعَبُونَ،وَلاَ يَتَوقَّفُونَ .[٢]

وقد حكى الله عنهم أنهم قالوا له سبحانه : {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } (٣٠) سورة البقرة.

ومن عبادتهم أنهم يقومون للصلاة بين يدي ربهم صفوفاً مستقيمة. قال تعالى حاكياً قولهم وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) [الصافات : ١٦٤ – ١٦٦].

---

[١] – التفسير الميسر – (١ / ٣١٧)

[٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٤٥٢)

وَإِنَّ لِكُلٍّ مِنَّا مَرْتَبَةً لاَ يَتَجَاوَزُهَا فِي العِبَادَةِ والانْتِهَاءِ إِلَى أَمْرِ اللهِ،خُضُوعاً لِعَظَمَتِهِ،وَخُشُوعاً لِهَيْبَتِهِ .وَإِنَّا لَنَقِفُ صُفُوفاً فِي أَدَاءِ الطَّاعَاتِ وَمَنَازِلِ الكَرَامَاتِ،لِكُلٍّ مِنّا مَنْزِلَةٌ لاَ يَتَعَدَّاهَا،وَمَرْتَبَةٌ لاَ يَتَخَطَّاهَا .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – فَقَالَ « مَا لِى أَرَاكُمْ رَافِعِى أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ اسْكُنُوا فِى الصَّلاَةِ ». قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًا فَقَالَ « مَا لِى أَرَاكُمْ عِزِينَ ». قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ « أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ». فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا قَالَ « يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِى الصَّفِّ »[1].

ومن عبادتهم عمرانهم للبيت المعمور بالصلاة قال عليه الصلاة والسلام وهو يحكي رحلة الإسراء والمعراج : (رُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ،فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّى فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ،إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ)[2]

ومن عبادتهم السجود لله رب العالمين : عَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « إِنِّى أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ »[3].

---

[1] – صحيح مسلم– المكنز – (٩٩٦)

الحلق : جمع حلقة –الشمس : جمع شموس وهى النَّفور التى لا تستقر ولا تسكن لشغبها وحدتها –العزين : جمع عزة وهى الحلقة المجتمعة من الناس

[2] – صحيح البخارى– المكنز – (٣٢٠٧)

[3] – سنن الترمذى– المكنز – (٢٤٨٢) صحيح لغيره

أطت : الأطيط صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها والمراد كثرة الملائكة –الصعدات : جمع صعد وهى الطرقات –تعضد : تقطع

وهم في خشية دائمة لربهم وإشفاق منه سبحانه. قال تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } (٢٨) سورة الأنبياء.

وينفذون كل ما يأمرهم به الله قال سبحانه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم .

مقامات الملائكة

إن للملائكة منزلة رفيعة عند الله،ولهم مع ذلك مقامات متعددة ومنازل متفاوتة. قال تعالى: { وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ } [الصافات:١٦٤] .

قالت الملائكة: وما منا أحدٌ إلا له مقام في السماء معلوم، وإنا لنحن الواقفون صفوفًا في عبادة الله وطاعته، وإنا لنحن المنزِّهون الله عن كل ما لا يليق به.[١]

وفي الحديث عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ عَنْ أَبِيهِ – وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ – قَالَ جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ – ﷺ – فَقَالَ « مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ قَالَ مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا – قَالَ وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلاَئِكَةِ » [٢].

وأشهر الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام

١– مقام جبريل عليه السلام :

اصطفى الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام فجعله أميناً على وحيه وسفيراً إلى أنبيائه ورسله ووصفه بصفات لم يصف بها غيره من الملائكة .

---

[١] – التفسير الميسر – (٨ / ١٥٤)

[٢] – صحيح البخارى– المكنز – (٣٩٩٢)

* فسماه روح القدس. قال تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل:١٠٢].

* كما شرفه فخصه بالذكر وقدمه في الترتيب على سائر الملائكة في القرآن الكريم فقال تعالى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [التحريم:٤].

* ومدحه بست صفات في معرض تبليغه للقرآن الكريم – قال تعالى : { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ(١٩)ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ(٢٠)مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ(٢١)} [التكوير:١٩-٢١].

بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِجَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ قَالَ إِنَّ مَا أَخْبَرَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنْ أَمْرِ السَّاعَةِ لَيْسَ بِكِهَانَةً،وَلاَ افْتِرَاءٍ عَلَى اللهِ،وَإِنَّما هُوَ قَوْلٌ نَزَلَ عَلَيهِ وَحْياً مِنْ رَبِّهِ بِوَاسِطَةِ جِبْرِيلَ عَلَيهِ السَّلاَمُ . وَوَصَفَ تَعَالَى جِبْرِيلَ بِأَنَّهُ رَسُولٌ كَرِيمٌ،أَيْ عَزِيزٌ عَلَى رَبِّهِ .

ثُمَّ يُتَابِعُ تَعَالَى وَصْفَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُ : إِنَّهُ ذُو قُوَّةٍ فِي الحِفْظِ وَالبُعْدِ عَنِ النِّسْيَانِ وَالخَطَإِ وَهُوَ ذُو جَاهٍ وَمَنْزِلَةٍ عِنْدَ صَاحِبِ العَرْشِ أَيْ لَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ . تُطِيعُهُ المَلاَئِكَةُ وَيَصْدُرُونَ عَنْ أَمْرِهِ،وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَأْيِهِ،وَهُوَ أَمِينٌ عَلَى إِبْلاَغِ وَحْيِ رَبِّهِ وَرِسَالاَتِهِ،وَقَدْ عَصَمَهُ اللهُ مِنَ الخِيَانَةِ فِيمَا يَأْمُرُهُ بِهِ رَبُّهُ،وَمِنَ الزَّلَلِ وَالخَطَإِ .[1]

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : وقوله: { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } يعني: أن هذا القرآن لتبليغُ رسول كريم، أي: ملك شريف حَسَن الخلق، بهي المنظر، وهو جبريل، عليه الصلاة والسلام. قاله ابن عباس، والشعبي، وميمون بن مِهْران، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، وغيرهم.

[1] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٦٩٦)

{ ذِي قُوَّةٍ } كقوله { عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ [فَاسْتَوَى] (٥) } [النجم: ٥، ٦]، أي: شديد الخَلْق، شديد البطش والفعل، { عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ } أي: له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة.

{ مُطَاعٍ ثَمَّ } أي: له وجاهة، وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى.

قال قتادة: { مُطَاعٍ ثَمَّ } أي: في السموات، يعني: ليس هو من أفناد الملائكة، بل هو من السادة والأشراف، مُعتَنى به، انتخب لهذه الرسالة العظيمة.

وقوله: { أَمِينٍ } صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جدا أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكى عبده ورسوله البشري محمدا ﷺ بقوله: { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ }[1]

٢- ميكائيل - عليه السلام

قرن النبي ﷺ ميكائيل مع جبرائيل وإسرافيل في دعائه عند استفتاحه لصلاة الليل قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَىِّ شَىْءٍ كَانَ نَبِىُّ اللَّهِ - ﷺ - يَفْتَتِحُ صَلاَتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَتْ كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاَتَهُ « اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِى لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِى مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »[2].

وقد ناصب اليهود العداء لجبريل عليه السلام وادعوا موالاة ميكائيل معللين عداوتهم لجبريل بأنه إنما يأتي بالشدة وسفك الدماء عَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - قَالَ بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلاَمٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - الْمَدِينَةَ،فَأَتَاهُ،فَقَالَ إِنِّى سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ نَبِىٌّ،{ قَالَ

[1] - تفسير ابن كثير - (٨ / ٣٣٨)

[2] - صحيح مسلم- المكنز - (١٨٤٧)

مَا } أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَمِنْ أَىِّ شَىْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمِنْ أَىِّ شَىْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « خَبَّرَنِى بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ » . قَالَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ . وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ . وَأَمَّا الشَّبَهُ فِى الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِىَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ،وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا » . قَالَ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ،إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلاَمِى قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِى عِنْدَكَ،فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْتَ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَىُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ » . قَالُوا أَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا وَأَخْبَرُنَا وَابْنُ أَخْيَرِنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ » . قَالُوا أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ . فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالُوا شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا . وَوَقَعُوا فِيه[1] .

فإذا كان جبريل عليه السلام وكِّل بالوحي الذي تحيا به الأرواح،فإن ميكائيل موكل بالقطر والنبات الذي تحيا به الأبدان،وبعملهما تتكامل المنة الربانية والعظمة الإلهية على خلقه أجمعين".[2]

٣- إسرافيل عليه السلام :

وقد ذكره النبي ﷺ في دعائه كما تقدم وقرنه بجبريل وميكائيل عليهم السلام،وقد اشتهر أنه هو الذين ينفخ في الصور،قال الحافظ ابن حجر :- اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام ونقل فيه الحليمي الإجماع.[3]

---

[1] - صحيح البخارى- المكنز - (٣٣٢٩)

[2] - علم الإيمان - (١ / ١٤٢) ولمزيد من الفائدة انظر إغاثة اللهفان لابن القيم : ١٢٧/٢-١٢٨ .

[3] - فتح الباري لابن حجر - (١١ / ٣٦٨)

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ ». فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِىِّ - ﷺ - فَقَالَ لَهُمْ « قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا »[1].

٤- حملة العرش :

عرش الله مخلوق عظيم يليق بعظمة الله سبحانه،قال تعالى : {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ(١٢٩)} [التوبة:١٢٩].

وقد وكل الله بحمل هذا العرش العظيم ملائكة يسبحون بحمد ربهم. قال تعالى : {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (٧) سورة غافر.

وبين القرآن عدد حملة العرش يوم القيامة فقال سبحانه {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } (١٧) سورة الحاقة .

وبيَّن الرسول ﷺ - عِظَم خلق حملة العرش. فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ - قَالَ « أُذِنَ لِى أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ »[2].

٥- المقربون :

لله ملائكة مقربون يشيعون أرواح المؤمنين من كل سماء إلى السماء السابعة كما جاء في حديث البراء بن عازب المشهور: "... فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ كَأَطْيَبِ رِيحٍ وُجِدَتْ فَتَعْرُجُ بِهِ الْمَلاَئِكَةُ

[1] - سنن الترمذى- المكنز - (٢٦١٨) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

[2] - سنن أبي داود - المكنز - (٤٧٢٩) صحيح

فَلاَ يَأْتُونَ عَلَى جُنْدٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ ؟ فَيُقَالُ : فُلاَنٌ،بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ إِلَى بَابِ سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيُفْتَحُ لَهُ وَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ {وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ} فَيُكْتَبُ كِتَابُهُ فِي عِلِّيِّينَ"[1]

أعمال الملائكة

قَال ابْنُ الْقَيِّمِ : " وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكّل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها. ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظه، وملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالسؤال فى القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالجنة وعمارتها وغراسها، وعمل الأنهار فيها ملائكة فالملائكة أعظم جنود الله تعالى

.ومنه قوله تعالى ": وَالمُرْسَلاَتِ عُرْفاً فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً فالمُلْقِيَاتِ ذِكْراً] {المرسلات: ١-٥ [ومنهم} وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً وَالسَّابحَاتِ سَبْحاً فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً فَالمُدَبِّرَاتِ أَمْرَا] {النازعات:١-٥ [ومنهم} وَالصَّافّاتِ صَفا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرَا] {الصافات:١-٣. [

ومنهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التى لا يحصيها إلا الله تعالى. ولفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون أمره: لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ

[1] - مسند الطيالسي - (٢ / ١١٤) (٧٨٩) صحيح

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إلا لَمِن اُرْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ] {الأنبياء: ٢٧ – ٢٨} [يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يؤمَرُونَ] {النحل: ٥٠} [لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ] {التحريم: ٦. [ولا تتنزل إلا بأمره، ولا تفعل شيئا إلا من بعد إذنه، فهم:عِبَادٌ مُكرَمُون] {الأنبياء: ٢٦[، منهم الصافون، ومنهم المسبحون. ليس منهم إلا من له مقام معلوم، لا يتخطاه وهو على عمل قد أمر به لا يقصر عنه، ولا يتعداه، وأعلاهم الذين عنده سبحانه:" لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَستَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَيْلَ وَالنَّهَارَ لا يفْتُرُونَ] الأنبياء: ١٩– ٢٠. [

ورؤساؤهم الأملاك الثلاث :جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وكان النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول" :اللّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيما كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. اُهْدِنِى لَمِا اُخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ تَهْدِى مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ."

فتوسل إليه سبحانه بربوبيته العامة والخاصة لهؤلاء الأملاك الثلاثة الموكلين بالحياة.

فجبريل موكل بالوحى الذى به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذى به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ فى الصور الذى به حياة الخلق بعد مماتهم.وقد أثنى الله سبحانه على عبده جبريل فى القرآن أحسن الثناء، ووصفه بأجمل الصفات فقال:

}فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنسِ وَاللَيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولِ كَرِيمٍ ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِين] {التكوير: ١٥– ٢١. [فهذا جبريل، فوصفه بأنه رسوله، وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه، وأنه مطاع فى السماوات، وأنه أمين على الوحى. فمن كرمه على ربه :أنه أقرب الملائكة إليه.

ومن قوته :أنه رفع مدائن قوم لوط على جناحه، ثم قلبها عليهم. فهو قوى على تنفيذ ما يؤمر به، غير عاجز عنه، إذ تطيعه أملاك السماوات فيما يأمرهم به عن الله تعالى.

ووصفه بالأمانة يقتضى صدقه ونصحه، وإلقاءه إلى الرسل ما أمر به من غير زيادة ولا نقصان ولا كتمان. فالمكانة والأمانة والقوة والقرب من الله .ونظير الجمع له بين المكانة والأمانة :قول العزيز ليوسف عليه السلام} :إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِين أَمِينٌ] {يوسف: ٥٤. [.[١]

ومن تلك الأعمال التي يقوم بها الملائكة ما يأتي :

١- إعمارُ السموات بالعبادة :

خلق الله السماوات السبع وجعل الملائكة الكرام يعمرونها بالتسبيح والتمجيد والعبادة الدائمة والطاعة المطلقة. جاء في حديث الإسراء :- " ..فَرُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ،فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ،فَقَالَ : هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ،يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ،إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ .."[٢]

وعَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنِّى أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ. وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ ». وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّى كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ. [٣]

---

[١] - إغاثه اللهفان ٢ / ١٢١ - ١٢٢ .

[٢] - أخرجه البخارى- المكنز - (٣٢٠٧) ومسلم وغيرهما مطولاً المسند الجامع - (١٥ / ٥٧) (١١٣٢١)

[٣] - سنن ابن ماجه- المكنز - (٤٣٣٠) صحيح لغيره

أطت : الأطيط صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها والمراد كثرة الملائكة -الصعدات : جمع صعد وهى الطرقات -تعضد : تقطع

٢- **تدبير أمر الخلائق :**

قال تعالى :{ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) } [النازعات : ١ – ٥]

وقوله : غَرْقاً اسم مصدر من أغرق،وأصله إغراقا. والإغراق في الشيء،المبالغة فيه والوصول به إلى نهايته،يقال : أغرق فلان هذا الأمر،إذا أوغل فيه،ومنه قوله : نزع فلان في القوس فأغرق،أى : بلغ غاية المد حتى انتهى إلى النّصل.

وهو منصوب على المصدرية،لالتقائه مع اللفظ الذي قبله في المعنى،وكذلك الشأن بالنسبة للألفاظ التي بعده،وهي : « نشطا » و« سبحا » و« سبقا ».

والمعنى : وحق الملائكة الذين ينزعون أرواح الكافرين من أجسادهم،نزعا شديدا،يبلغ الغاية في القسوة والغلظة.

ويشير إلى هذا المعنى قوله – تعالى – في آيات متعددة،منها قوله – سبحانه – : وَلَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا،الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ.

وقوله : وَالنَّاشِطاتِ نَشْطاً : المقصود به طائفة أخرى من الملائكة. والناشطات من النّشط،وهو السرعة في العمل،والخفة في أخذ الشيء،ومنه الأنشوطة،للعقدة التي يسهل حلها،ويقال : نشطت الدلو من البئر – من باب ضرب – إذا نزعتها بسرعة وخفة.

أى : وحق الملائكة الذين ينشطون ويسرعون إسراعا شديدا لقبض أرواح المؤمنين بخفة وسهولة ويقولون لهم – على سبيل البشارة والتكريم – : يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً.

وقوله – سبحانه – : وَالسَّابِحاتِ سَبْحاً قسم ثالث بطائفة ثالثة من طوائف الملائكة،التي تسبح في هذا الكون،أى : تنطلق بسرعة لتنفيذ أمر اللّه – تعالى – ،ولتسبيحه،وتحميده،وتكبيره،وتقديسه.

أى : وحق الملائكة الذين يسرعون التنقل في هذا الكون إسراعا شديدا،لتنفيذ ما كلفهم – سبحانه – به،ولتسبيحه وتنزيهه عن كل نقص ...

وقوله – تعالى – : فَالسَّابِقاتِ سَبْقاً المقصود به طائفة رابعة من الملائكة،تسبق غيرها في تنفيذ أمر اللّه – تعالى –،إذ السبق معناه : أن يتجاوز السائر من يسير معه،ويسبقه إلى المكان المقصود الوصول إليه،كما قال – تعالى – في صفات المتقين : أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَهُمْ لَها سابِقُونَ.

وقوله : فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً المقصود به طائفة خامسة من الملائكة،من وظائفهم تدبير شأن الخلائق،وتنظيم أحوالهم بالطريقة التي يأمرهم – سبحانه – بها،فنسبة التدبير إليهم،إنما هي على سبيل المجاز،لأن كل شيء في هذا الكون إنما هو بقضاء اللّه وتقديره وتدبيره.

والمراد بالأمر : الشأن والغرض المهم،وتنوينه للتعظيم،ونصبه على المفعولية للفظ المدبرات.
أى : وحق الملائكة الذين يرتبون شئون الخلائق،وينظمون أمورهم بالطريقة التي يكلفهم – سبحانه – بها.[1]

وقال تعالى : { تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ(٤)} [القدر:٤].

فهذه الآية واضحة النص والدلالة على أن الملائكة وجبريل عليهم السلام ينزلون بالأوامر من الله سبحانه وتعالى في ليلة القدر من كل عام في العشر الأواخر من رمضان .

---

[1] – التفسير الوسيط للقرآن الكريم–موافق للمطبوع – (١٥ / ٢٦٣) و تفسير الكشاف ج ٤ ص ٦٩٣و تفسير فتح القدير ج ٥ ص ٣٧٢ وتفسير ابن كثير – (١٨ / ٢٩٠)

٣- حراسة السماء :

جعل الله سبحانه وتعالى ملائكة موكلة بحفظ السماء وحراستها من الشياطين. قال تعالى: { وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا(٨)} [الجن:٨].

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى : "أي حفظة يعني الملائكة ".[١]

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ حِينَ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ رَسُولاً،وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ القُرْآنَ،حَفِظَ اللهُ القُرْآنَ مِنَ الجِنِّ إِذْ مُلِئَتِ السَّمَاءُ حَرَساً شَدِيداً،وَحُفِظَتْ مِنْ جَمِيعِ أَرْجَائِهَا،وَطُرِدَتِ الشَّيَاطِينُ مِنْ مَقَاعِدِهَا لِئَلاَّ يَسْتَرِقُوا سَمْعَ شَيءٍ مِنَ القُرْآنِ،فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الجِنَّ قَالُوا : لَقَدْ طَلَبْنَا خَبَرَ السَّمَاءِ (لَمَسْنَا السَّمَاءَ) كَمَا جَرَتْ عَادَتُنَا بِذَلِكَ فَوَجَدْنَاهَا قَدْ مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً،وَشُهُباً تَحْرُسُهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ،وَتَمْنَعُنَا مِنِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ .[٢]

٤- حماية الرسل والوحي :

أحاط الله رسله بملائكة يحفظونهم حتى يبلغوا رسالة ربهم. قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا(٢٧)لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا(٢٨)} [الجن:٢٦-٢٨] .قال الإمام ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى : {.. فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا(٢٧) } [الجن:٢٧] " أَيْ يَخُصّهُ بِمَزِيدِ مُعَقِّبَات مِنَ الْمَلَائِكَة يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْر اللَّه وَيُسَانِدُونَهُ عَلَى مَا مَعَهُ مِنْ وَحْي اللَّه "[٣].

---

[١] - تفسير القرطبي . موافق للمطبوع - (١٩ / ١١)

[٢] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٣٣٣)

[٣] - تفسير ابن كثير - (١٨ / ٣٠)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَوْلُهُ : إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا قَالَ : هِيَ مُعَقِّبَاتٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَ النَّبِيَّ ﷺ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ الَّذِي أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْهِمْ،وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ : لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ ".[1].

٥- سوقُ السحب وإنزال المطر :

إن ما نشاهده من سير السحب وتنقلها من مكان إلى آخر قد يظن بعض الناس أن هذا من تلقاء نفسها،أو أن الطبيعة العمياء هي التي تصرفها وتوجهها،ولكن الأمر غير ذلك،فإن هذا الأمر المشاهد والمنضبط بالسنن الربانية تسيره الملائكة بأمر خالقها سبحانه. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ نَسْأَلُكَ،عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ أَجَبْتَنَا فِيهَا اتَّبَعْنَاكَ،وَصَدَّقْنَاكَ وَآمَنَّا بِكَ . قَالَ : فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ،قَالُوا : اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ،قَالُوا : أَخْبِرْنَا عَنْ عَلَامَةِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَالَ : " تَنَامُ عَيْنَاهُ،وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ "،قَالُوا : أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤَنِّثُ الْمَرْأَةُ وَكَيْفَ تُذْكِرُ ؟ قَالَ : " يَلْتَقِي الْمَاءَانِ،فَإِنْ عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ آنَثَتْ،وَإِنْ عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَتْ " قَالُوا : صَدَقْتَ،قَالُوا : فَأَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : " مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ يَصْرِفُهُ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ " قَالُوا : فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ ؟ قَالَ : " زَجْرَةُ السَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ "،قَالُوا : صَدَقْتَ . قَالُوا : فَأَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ؟ قَالَ : " كَانَ يَسْكُنُ الْبَدْوَ،فَاشْتَكَى فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَائِمُهُ إِلَّا لُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا "،قَالُوا : صَدَقْتَ،قَالُوا : فَأَخْبِرْنَا مَنِ الَّذِي يَأْتِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ،فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَيَأْتِيهِ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِالرِّسَالَةِ،وَالْوَحْيِ،فَمَنْ صَاحِبُكَ ؟ فَإِنَّمَا بَقِيَتْ هَذِهِ قَالَ : " جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ " قَالُوا : ذَلِكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ،ذَلِكَ عَدُوُّنَا،لَوْ قُلْتَ : مِيكَائِيلُ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْقَطْرِ تَابَعْنَاكَ،فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : {قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا

[1] – جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلطَّبَرِيِّ (٣٢٥٩١) و تفسير ابن كثير – (٨ / ٢٤٧) وفيه ضعف

لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } (٩٧) سورة البقرة"[١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ،فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ : اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ،فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ،فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ،فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ،فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ،فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ،فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : فُلَانٌ – لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ – فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي ؟ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ : اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ،لِاسْمِكَ،فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا ؟ قَالَ : أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا،فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا،فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ،وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا،وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ " [٢]

غيث الاستقاء :

ويظهر عمل الملائكة الموكلة بالقطر جلياً في سوق السحاب وإنزال المطر في الأماكن التي لجأ أهلها إلى الله طالبين السقيا بصلاة الاستسقاء،مما يدلُّ على أن هذا السحاب يساق والمطر ينزل إلى المكان المطلوب بفعل الملائكة كما جاء في الحديث السابق (اسق حديقة فلان) .

وقد ورد ذكره في حديث آخر فعن أبي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَىِّ شَىْءٍ كَانَ نَبِىُّ اللَّهِ – ﷺ – يَفْتَتِحُ صَلاَتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَتْ كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاَتَهُ « اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ

[١] – الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبَرَانِيِّ (١٢٢٦١) وسنن الترمذى– المكنز – (٣٤٠٦) صحيح

[٢] – صحيح مسلم– المكنز – (٧٦٦٤) –الحرة : أرض بها حجارة سوداء كثيرة –المسحاة : أداة القشر والجرف المصنوعة من الحديد –الشرجة : مسيل الماء

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِى لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِى مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »(أخرجه مسلم)[1].

ولذا قال العلماء إن هؤلاء الثلاثة المذكورين هم أفضل الملائكة .

٦- **الموكَّلُ بالجبال :**

وكَّل الله سبحانه وتعالى بالجبال الرواسي مَلَكاً،هو ملك الجبال كما جاء في الحديث عَنْ عُرْوَةَ ؛ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ،انَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ : هَلْ اتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ اشَدَّ مِنْ يَوْمِ اُحُدٍ ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ،وَكَانَ اشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى ما ارَدْتُ،فَانْطَلَقْتُ وَانَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي،فَلَمْ اسْتَفِقْ إِلاَّ وَانَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ،فَرَفَعْتُ رَاْسِي،فَإِذَا انَا بِسَحَابَةٍ قَدْ اظَلَّتْنِي،فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ،فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ،ومَا رَدُّوا عَلَيْكَ،وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَاْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ،فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ،فَسَلَّمَ عَلَيَّ،ثُمَّ قَالَ : يَامُحَمَّدُ،فَقَالَ : ذَالِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ اطْبِقَ عَلَيْهِمُ الاخْشَبَيْنِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : بَلْ ارْجُوا أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ اصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. »[2] .

٧- **حراسةُ مكة والمدينة من الدجال :**

جعل الله سبحانه وتعالى ملائكة تحرسُ مكة والمدينة من دخول الدجال إليهما،فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضى الله عنه – عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ – قَالَ « لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ،إِلاَّ مَكَّةَ

---

[1] – صحيح مسلم برقم(١٨٤٧)

[2] – صحيح البخارى– المكنز – (٣٢٣١) وصحيح مسلم– المكنز – (٤٧٥٤)

–الاسْتِفاقة : اسْتِفعال من أفاق إذا رَجع إلى ما كان قد شُغل عنه وعاد إلى نفسه – الأخشبان : الجبلان المُطِيفان بمكة ، وهما أبو قُبَيْس والأحمر ، سُمِّيا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما –الصلب : ظهر الرجل وهو مصدر المني

وَالْمَدِينَةَ،لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلاَّ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ صَافِّينَ،يَحْرُسُونَهَا،ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ،فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ »[1] .

النقب في اللغة : هو الخرق في الجلد أو الجدار أو نحوهما والأنقاب جمع نقب. وعندما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ذلك لم يكن في مكة والمدينة نقب واحد، أما اليوم فمكة محاطة بالأنقاب التي أصبحت مداخل رئيسة إلى مكة،وللمدينة بعض الأنقاب .

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ "[2]

وعَنْ أَنَسٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ : الْمَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَّالُ،فَيَجِدُ الْمَلاَئِكَةَ يَحْرُسُونَهَا،فَلاَ يَدْخُلُهَا الدَّجَّالُ وَلاَ الطَّاعُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

٨- الموكَّلُ بالرحم وتصوير الأجنَّة :

ثبت في الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،أَنَّهُ قَالَ:إِنَّ اللَّهَ،عَزَّ وَجَلَّ،قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا،فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ،أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ،فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا،قَالَ : قَالَ الْمَلَكُ : أَيْ رَبِّ،ذَكَرٌ،أَوْ أُنْثَى ؟ شَقِيٌّ،أَوْ سَعِيدٌ ؟ فَمَا الرِّزْقُ ؟ فَمَا الأَجَلُ ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ."[3]

كما حددت الأحاديث الأخرى اليوم الذي يقوم فيه الملك بالتصوير،وخلق السمع والبصر والجلد واللحم والعظم والجنس (ذكر أم أنثى)،ونفخ الروح فيه لينتقل من الحياة النباتية إلى الحياة الآدمية. ففي الحديث عَنْ أَبِى الزُّبَيْرِ الْمَكِّىِّ أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ

---

[1] - صحيح البخارى- المكنز - (١٨٨١) وصحيح مسلم- المكنز - (٧٥٧٧)

[2] - أخبار مكة للفاكهي - (٢ / ٢٦٣) (١٤٨٣) صحيح

[3] - المسند الجامع - (٣ / ٤٥) (١٥٩٥) وصحيح البخارى- المكنز - (٣١٨) وصحيح مسلم- المكنز -(٦٩٠٠)

اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ الشَّقِىُّ مَنْ شَقِىَ فِى بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ. فَأَتَى رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يُقَالُ لَهُ حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الْغِفَارِىُّ فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ثُمَّ. قَالَ يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى فَيَقْضِى رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ أَجَلُهُ. فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ رِزْقُهُ. فَيَقْضِى رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِى يَدِهِ فَلاَ يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلاَ يَنْقُصُ ».[1]

.وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يُرى الناس في زماننا هذا مراحل تطور الجنين ومشاهدة أحواله في رحم أمه بواسطة الأجهزة المصنوعة لذلك،مما جعل هذا الحديث الشريف آية شاهدة على معجزة النبي ﷺ .

٩- **الموكَّلون بحفظ الإنسان** :وكَّلَ الله سبحانه وتعالى ببني آدم حفظة من ملائكته الأبرار،يحيطونه بالحفظ والرعاية فينجو من وقوع الشر والآفات،ولولا ذلك لما استطاع الإنسان العيش في أرض فيها الكثير من المخاطر،والمخلوقات الشريرة والوحوش المفترسة،والزواحف السامة،والحشرات الضارة ،والكائنات الدقيقة الفتاكة والأشعة الضارة، فيها طغاة من البشر، ومعتدون، وَظَلَمَة، وغيرها من أسباب المخاطر المهلكة. قال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ} (٦١) سورة الأنعام

يحفظونه بأمر الله، فما دام الله كاتبًا له السلامة، فهذه الملائكة تدافع عنه، ولا يصل إليه أحد بِشَر، فإذا أراد الله نهاية أجله تخلّوا عنه، واحد من أمامه وواحد من خلفه {إِنَّ اللَّهَ لاَ

[1] - صحيح مسلم- المكنز - (٦٨٩٦)

يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ} [الرعد: ١١] وإذا جاء القدر وأراد الله هلاك هذا الإنسان فإن الملائكة المعقبات تتخلى عنه، لأنها لا ترد عنه أمر الله. هذه الملائكة المعقبات.

وإرسال الحفظة عليهم مراقبهم لهم وإحصاء أعمالهم وكتابتها وحفظها فى الصحف التي تنشر يوم الحساب،وهى المرادة بقوله تعالى « وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ » .

وهؤلاء الحفظة الملائكة الذين قال اللّه تعالى فيهم « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ. كِراماً كاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ » ونحن نؤمن بهذه الكتابة ولا نعرف صفتها ولا نتحكم فيها بآرائنا.[١]

وقال تعالى: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ} (١١) سورة الرعد

قال ابن كثير : " أَيْ لِلْعَبْدِ مَلَائِكَة يَتَعَاقَبُونَ عَلَيْهِ حَرَس بِاللَّيْلِ وَحَرَس بِالنَّهَارِ يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْأَسْوَاء وَالْحَادِثَات كَمَا يَتَعَاقَب مَلَائِكَة آخَرُونَ لِحِفْظِ الْأَعْمَال مِنْ خَيْر أَوْ شَرّ مَلَائِكَة بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَة بِالنَّهَارِ فَاثْنَانِ عَنِ الْيَمِين وَالشِّمَال يَكْتُبَانِ الْأَعْمَال صَاحِب الْيَمِين يَكْتُب الْحَسَنَات وَصَاحِب الشِّمَال يَكْتُب السَّيِّئَات وَمَلَكَانِ آخَرَانِ يَحْفَظَانِهِ وَيَحْرُسَانِهِ وَاحِد مِنْ وَرَائِهِ وَآخَر مِنْ قُدَّامه فَهُوَ بَيْن أَرْبَعَة أَمْلَاك بِالنَّهَارِ وَأَرْبَعَة آخَرِينَ بِاللَّيْلِ بَدَلًا حَافِظَانِ وَكَاتِبَانِ كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيح عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – :« الْمَلاَئِكَةُ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ،يَجْتَمِعُونَ فِى صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ،ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ،فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِىَ؟ قَالُوا : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ».[٢]

---

[١] – تفسير الشيخ المراغى . موافقا للمطبوع – (٧ / ١٤٧)

[٢] – السنن الكبرى للبيهقي– المكنز – (١ / ٤٦٤) (٢٢٧١) وصحيح البخارى– المكنز – (

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ « إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّى فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لاَ يُفَارِقُكُمْ إِلاَّ عِنْدَ الْغَائِطِ وَحِينَ يُفْضِى الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ »[1].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَوْلُهُ : " يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَقُولُ : بِإِذْنِ اللَّهِ،فَالْمُعَقِّبَاتُ : هِيَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ،وَهِيَ الْمَلاَئِكَةُ "

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قَالَ : " الْمَلاَئِكَةُ : الْحَفَظَةُ،وَحِفْظُهُمْ إِيَّاهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ "

وعَنْ مُجَاهِدٍ،فِي قَوْلِهِ : لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ قَالَ : " مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ حَفَظَةٌ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ " ذِكْرُ مَنْ قَالَ : تَحْفَظُهُ الْحَرَسُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ

وعَنْ مُجَاهِدٍ،أَنَّهُ قَالَ : " مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا لَهُ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ يَحْفَظُهُ فِي نَوْمِهِ وَيَقَظَتِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْهَوَامِّ،فَمَا مِنْهُمْ شَيْءٌ يَأْتِيهِ يُرِيدُهُ إِلَّا قَالَ : وَرَاءَكَ،إِلَّا شَيْئًا يَأْذَنُ اللَّهُ فَيُصِيبُهُ " *

وإذا علم الإنسان أن هناك ملائكة تحصى عليه أعماله كان حذرا من وقوعه فى المعاصي خيفة أن يطلع عليه الكرام الكاتبون ويزجره الحياء عن الإقدام على فعل الموبقات كما يحذر من الوقوع فيها إذا حضر من يستحى منه من البشر،وهو أيضا إذا علم أن كل عمل له فى كتاب مدّخر يكون ذلك رادعا له داعيا إلى تركه.

وليس أمر الحفظة بالبعيد عن العقل بعد أن أثبته الدين وبعد أن كشف العلم أن كثيرا من الأعمال العامة يمكن إحصاؤها بآلات دقيقة لا تدع منها شيئا إلا تحصيه،فقد أصبحت المياه والكهرباء فى المدن تعدّ بالآلات (العدادات) فالمياه التي يشربونها،والكهرباء التي يضيئون بها منازلهم تحصى وتعدّ كما يعدّ الدرهم والدينار،وكذلك هناك آلات تحصى

---

٥٥٥) وصحيح مسلم– المكنز – (١٤٦٤)

[1] – سنن الترمذى– المكنز – (٣٠٣٠) حسن لغيره

المسافات التي تقطعها السيارات فى سيرها،وأخرى تحصى تيارات الأنهار ومساقط المياه إلى غير ذلك من دقيق الآلات التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة من الأعمال إلا تكتبها وتحصيها.

وكلما تقدمت العلوم وكشفت ما كان غائبا عنا كان فى ذلك تصديق أيّما تصديق لنظريات الدين،ووسيلة حافزة إلى الاعتراف بما جاء فيه مما يخفى على بعض الماديين الذين لا يقرّون إلا بما يرونه رأى العين،ولا يذعنون إلا بما يقع تحت حسهم،وبهذا يصدق قول القائل (الدين والعقل فى الإسلام صنوان لا يفترقان،وصديقان لا يختلفان).

(يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) أي هم يحفظونه بأمر اللّه وإذنه وجميل رعايته وكلاءته،فكما جعل سبحانه للمحسوسات أسبابا محسوسة ربط بها مسبباتها بحسب ما اقتضته حكمته،فجعل الجفن سببا لحفظ العين مما يدخل فيها،فيؤذيها،كذلك جعل لغير المحسوسات أسبابا،فجعل الملائكة أسبابا للحفظ،وأفعاله تعالى لا تخلو من الحكم والمصالح.

وكذلك جعل لحفظ أعمالنا كراما كاتبين وإن كنا لا ندرى ما قلمهم وما مدادهم ؟

وكيف كتابتهم ؟ وأين محلهم ؟ وما حكمة ذلك ؟ مع أن علمه تعالى بأعمال الإنسان كاف فى الثواب والعقاب عليها،وقد يكون من حكمة ذلك أنه إذا علم الإنسان أن أعماله محفوظة لدى الحفظة الكرام كان أجدر بالإذعان لما يلقاه من ثواب وعقاب يوم العرض والحساب.[1]

١٠- كتابة الأعمال :

وكَّل الله بكل إنسان ملكين حاضرين عن يمينه وشماله ملازمين له،لا يفارقانه لحظة من الزمان، يحصيان عليه كل أقواله وأفعاله، بل ويعلمان همَّه بالحسنة والسيئة،وقد بين القرآن ذلك فقال تعالى : {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (١٨) سورة ق

[1] - تفسير الشيخ المراغى . موافقا للمطبوع - (١٣ / ٧٦) وانظر التفسير القرآني للقرآن . موافقا للمطبوع - (٧ / ٨٠)

وهو بيان شارح لوظيفة الجنديين القاعدين عن يمين الإنسان وعن شماله .. فهما واقفان للإنسان بالمرصاد .. ما يلفظ من قول إلا كان على هذا القول « رقيب » أي مراقب،يسمع ما يقال،ويسجله،وهو « عتيد » أي حاضر دائما لا يغيب أبدا .. وليس رقيب وعتيد،اسمين للملكين القائمين على الإنسان،الموكلان به،وإنما ذلك وصف لكلّ منهما،فكل منهما رقيب يقظ،حاضر أبدا ..[1]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ ». قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « وَإِيَّاىَ إِلاَّ أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِى عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلاَ يَأْمُرُنِى إِلاَّ بِخَيْرٍ ».[2]

وقال تعالى: { كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) } [الانفطار : ٩ – ١٢]والحافظون،هم الملائكة الموكلون بالناس،وبتسجيل ما يعملون من خير أو شر .. وهم الكرام عند اللّه،المكرمون بفضله وإحسانه،الكاتبون لما يعمل الناس ..[3]

أى : وإن عليكم ملائكة من صفاتهم أنهم يحفظون أعمالكم،ويسجلونها عليكم،وأنهم لهم عند اللّه – تعالى – الكرامة والمنزلة الحسنة،وأنهم يكتبون أعمالكم كلها،وأنهم يعلمون أفعالكم التي تفعلونها سواء أكانت قليلة أم كثيرة،صغيرة أم كبيرة.

فالمقصود بهذه الآيات الكريمة : بيان أن البعث حق،وأن الحساب حق،وأن الجزاء حق،وأن أعمال الإنسان مسجلة عليه تسجيلا تاما،بواسطة ملائكة لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون

---

[1] – التفسير القرآني للقرآن . موافقا للمطبوع – (١٣ / ٤٧٩)

[2] – صحيح مسلم– المكنز – (٧٢٨٦)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : فِي هَذَا الْخَبَرِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ شَيْطَانَ الْمُصْطَفَى ﷺ أَسْلَمَ حَتَّى لَمْ يَأْمُرْهُ إِلاَّ بِخَيْرٍ ، لاَ أَنَّهُ كَانَ يَسْلَمُ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا.صحيح ابن حبان – (١٤ / ٣٢٧)

[3] – التفسير القرآني للقرآن . موافقا للمطبوع – (١٥ / ١٤٨٣)

ما يؤمرون. وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا هَمَّ عَبْدِى بِسَيِّئَةٍ فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا ».[1]

أما كيفية هذه الكتابة من الملائكة لأعمال الإنسان،وعلى أى شيء تكون هذه الكتابة،ومتى تكون هذه الكتابة ... فمن الأمور التي يجب الإيمان بها كما وردت،مع تفويض كنهها وكيفيتها ودقتها إلى اللّه – تعالى – لأنه لم يرد حديث صحيح عن المعصوم ﷺ يعتمد عليه في بيان ذلك.[2]

١١– مصاحبة الإنسان :

وكَّل الله بكل إنسان قريناً من الملائكة يأمره بالخير ويرغبه فيه،وقرينا من الجن يأمره بالشر ويحثه عليه كما جاء في الصحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ ». قَالُوا وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « وَإِيَّاىَ إِلاَّ أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِى عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلاَ يَأْمُرُنِى إِلاَّ بِخَيْرٍ »[3].

وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علاقة الملك بالإنسان وكذلك علاقة الشيطان به فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – « إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ

---

[1] – صحيح مسلم– المكنز – (٣٤٩)

[2] – التفسير الوسيط للقرآن الكريم–موافق للمطبوع – (١٥ / ٣١٣) و فى ظلال القرآن . موافقا للمطبوع – (٦ / ٣٨٥١)

[3] – صحيح مسلم– المكنز – (٧٢٨٦)

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثُمَّ قَرَأَ {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (٢٦٨) سورة البقرة»[١].

١٢- توفي أرواح بني آدم :

وكَّل الله ملكاً هو ملك الموت لقبض أرواح العباد عند نهاية آجالهم، قال تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} (١١) سورة السجدة.

توفية الشيء : استيفاؤه وأخذه كاملا وافيا،وعبّر عن الموت بالتوفى ،لأنه لا يكون الموت حتى يستوفى الحىّ ما قدر اللّه له من حياة،دون زيادة أو نقصان. وفي قوله تعالى : « قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ » . إشارة إلى أن الموت الذي يحلّ بهم،ليس أمرا يقع من تلقاء نفسه،اعتباطا،كما يظنون ..،فإن الموت بيد اللّه الحكيم العليم،الذي جعل لكل نفس أجلا محدودا،فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .. ثم إن الموت يقوم به رسول من رسل اللّه،مهمته هى قبض الأرواح من الأجساد،بعد أن تستوفى أجلها .. وإذا كان ذلك كذلك،فإن الذي إليه الموت،له أيضا الحياة قبل الموت،وبعد الموت .. فمن أعطى الحياة،ثم سلبها،لا يعجز أن يعطى ما سلب! « كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ،وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ،ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ،ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (٢٨ : البقرة).[٢]

وأسند – سبحانه – هنا التوفي إلى ملك الموت،لأنه هو المأمور بقبض الأرواح. وأسنده إلى الملائكة في قوله – تعالى – فَكَيْفَ إِذا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ لأنهم أعوان ملك الموت الذين كلفهم

---

[١] – سنن الترمذى– المكنز – (٣٢٥٦) حسن وصح وقفه لكن مثله لا يقال بالرأى فله حكم الرأي – اللَّمة : النزول والقرب

[٢] – التفسير القرآني للقرآن . موافقا للمطبوع – (١١ / ٦١٣)

اللّه بذلك.وأسنده – سبحانه – إلى ذاته في قوله : اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها لأن كل شيء كائنا ما كان،لا يكون إلا بقضائه وقدره.[1]

وقد جعل الله له أعواناً يساعدونه في ذلك. قال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ} (٦١) سورة الأنعام.

أى : حتى إذا احتضر أحدكم وحان أجله قبضت روحه ملائكتنا الموكلون بذلك حالة كونهم لا يتوانون ولا يتأخرون في أداء مهمتهم.

قال الآلوسى : وحتى في قوله : حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها،كأنه قيل : ويرسل عليكم حفظة يحفظون ما يحفظون منكم مدة حياتكم،حتى إذا انتهت مدة أحدكم وجاءت أسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الآخرون المفوض إليهم ذلك،وانتهى هناك حفظ الحفظة. والمراد بالرسل – على ما أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس – أعوان ملك الموت .فإن قلت : إن هناك آية تقول : اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وثانية تقول : قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ والتي معنا تقول تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا فكيف الجمع بين هذه الآيات؟.

فالجواب على ذلك أن المتوفى في الحقيقة هو اللّه،فإذا حضر أجل العبد أمر اللّه ملك الموت بقبض روحه،ولملك الموت أعوان من الملائكة فيأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده،فإذا وصلت إلى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت نفسه،وقيل المراد من قوله تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا ملك الموت وحده وإنما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له .[2]

---

[1] – التفسير الوسيط للقرآن الكريم–موافق للمطبوع – (١١ / ١٤٨) وانظر تفسير الشيخ المراغى . موافقا للمطبوع – (٢١ / ١٠٨)

[2] – التفسير الوسيط للقرآن الكريم–موافق للمطبوع – (٥ / ٩٣) والكشاف ج ٢ ص ٣٣ و تفسير الآلوسى ج ٧ ص ٧٦ وحاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٤٠.

١٣- سؤال الموتى في قبورهم :

عَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ - قَالَ « الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِى قَبْرِهِ،وَتُوُلِّىَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ،أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولاَنِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ - ﷺ - فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . فَيُقَالُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ،أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ - قَالَ النَّبِىُّ - ﷺ - فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا - وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوِ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ لاَ أَدْرِى،كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ . فَيُقَالُ لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ . ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ،فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ » [١].

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِى الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،فَذَلِكَ قَوْلُهُ {يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء} (٢٧) سورة إبراهيم [٢].

١٥- حمل العرش :

فقد نصَّ القرآن الكريم على أن عرش الرحمنِ تحمله الملائكة قال الله تعالى : {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } (١٧) سورة الحاقة .

وَتَقُومُ المَلاَئِكَةُ عَلَى جَوَانِبِ السَّمَاءِ يَنْظُرُونَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ،وَيَحْمِلُ عَرْشَ اللهِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ المَهُولِ فَوْقَ رُؤُوسِ الخَلاَئِقِ ثَمَانِيَةٌ[٣]

وقال تعالى : {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (٧) سورة غافر .

---

[١] - صحيح البخارى- المكنز - (١٣٣٨)

[٢] - صحيح البخارى- المكنز - (٤٦٩٩)

[٣] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٢١٨)

إِنَّ المَلاَئِكَةَ الذِينَ يَحْمِلُونَ عَرْشَ رَبِّهِمْ،وَالمَلاَئِكَةَ الذِينَ هُمْ مِنْ حَوْلِهِ يُنَزِّهُونَ اللهَ تَعَالَى،وَيَحْمَدُونَهُ عَلَى نِعَمِهِ وَآلاَئِهِ،وَلاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ،وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لِلمُسِيئِينَ الذِينِ تَابُوا وَأَقْلَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ،وَاتَّبَعُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهِمْ مِنْ فَعْلِ الخَيرِ،وَتَرَكِ المُنْكَرِ،وَيَسْأَلُونَهُ تَعَالَى أَنْ يُجَنِّبَ (يَقِي) هَؤُلاَءِ التَّائِبِينَ الْمُنِيبِينَ عَذَابَ النَّارِ .[1]

١٦- رعايةُ الجنة وأهلها، والقيامُ على النار ومن فيها :

وقد أطلق القرآن الكريم على القائمين بهذه الوظائف اسم الخزنةِ قال تعالى : { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) } [الزمر/٧١-٧٣]،وقال تعالى :{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) } [الرعد/٢٣، ٢٤]

وقال تعالى : {وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) [غافر/٤٩ -٥٠] } .

وخصَّ أصحاب النار باسم الزبانية. قال تعالى :{ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) [العلق/١٧-١٩]}

ورؤساء خزنة جهنم تسعة عشر،قال تعالى : { وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا

[1] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٠١٩)

جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) [المدثر/٢٧-٣٢]} .

وزعيمهم مالك قال تعالى : { وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ } (الزخرف : ٧٧)

وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه خازن النار، فعَنْ سَمُرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ - ﷺ -« رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِى قَالاَ الَّذِى يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ،وَأَنَا جِبْرِيلُ،وَهَذَا مِيكَائِيلُ » (أخرجه البخاري)[1] .

١٦- وضع أجنحتها لطالب العلم والاستغفار له :

عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِى الدَّرْدَاءِ فِى مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّى جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ - ﷺ - لِحَدِيثٍ بَلَغَنِى أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ. قَالَ فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِى جَوْفِ الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ »(أخرجه أبو داود)[2].

فهؤلاء هم أشهر من جاءت النصوص بذكر وظائفهم وأسمائهم من الملائكة ممن يتعين على العبد الإيمان بهم والتصديق بمدلولات النصوص في حقهم والله تعالى أعلم .

---

[1] - برقم(٣٢٣٦)

[2] - سنن أبى داود برقم(٣٦٤٣) وهو صحيح

المبحث الرابع

المفاضلة بين الملائكة والبشر

آراء العلماء فى المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر

- ينسب إلى بعض أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة .
- المعتزلة ذهبوا إلى تفضيل الملائكة .
- الأشاعرة وبعض الصوفية : يفضل الأنبياء عن الملائكة .
- الشيعة : أن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة .
- والإمام أبو حنيفة لم يقطع فى التفاصيل بين البشر والملائكة بجواب وهذا هو الحق ، فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبيين وليس علينا أن نعتقد اى الفريقين أفضل ، فان هذا لو كان من الواجب لبين لنا نصا. وقد قال تعالى :اليوم أكملت لكم دينكم، وقوله تعالى : (وما كان ربك نسيا) .

وفى الصحيح "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسالوا عنها "، فالسكوت عن الكلام فى هذه المسائل نفيا وإثباتا. والحالة هذه أولى

- **<u>أدلة من قال بتفضيل الأنبياء على الملائكة :</u>**

- **أولا:** أن الله أمر الملائكة أن يسجدو لآدم، وذلك دليل على تفضيله عليهم.

- الرد عليهم : أن سجود الملائكة كان امتثالا لأمر ربهم وعبادة وانقيادا وطاعة له وتكريما لادم وتعظيما ، ولا يلزم من ذلك الأفضلية ، كما لم يلزم من سجود يعقوب لابنه عليهما السلام تفضيل ابنه عليه ، ولا تفضيل الكعبة على بنى آدم يسجدون إليها امتثالا لأمر ربهم .

- **ثانيًا:** أن الملائكة لهم عقول وليست لهم شهوات والأنبياء لهم شهوات والأنبياء لهم عقول وشهوات، فلما نهو أنفسهم عن الهوى ومنعوها عما تميل إليه الطباع، كانوا بذلك أفضل .

- الرد عليهم :يجوز أن يقع (من الملائكة)(من) مداومة الطاعة وتحمل العبادة وترك الونى والفتور فيها ما يفى بتجنب الأنبياء شهواتهم ومع طول مدة عبادة الملائكة .

- **ثالثًا:** أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها .

- ورد عليهم :هذا دليل على الفضل لا على التفضيل، وآدم والملائكة لا يعلمون إلا ما علمهم الله، وليس الخضر أفضل من موسى ، بكونه علم ما لم يعلمه موسى ، وقد سافر موسى وفتاه فى طلب العلم إلى الخضر وتزود لذلك وطلب موسى منه العلم صريحا .ولا الهدهد أفضل من سيدنا سليمان عليه السلام ، بكونه أحاط بما لم يحيط به سليمان عليه السلام علماْ

- **رابعًا** :ومما يدل على تفضيلهم أن الله عز وجل يباهى بأهل الإيمان والطاعة ملائكته إذا أدوا ما أوجبه عليهم . كما يباهى بأهل عرفات فعن أبى هريرة أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال: أن الله يباهى بأهل عرفات أهل السماء فيقول: لهم انظرو إلى عبادى هؤلاء جاءونى شعثا غبرا".

- **أدلة من قال بتفضيل الملائكة على البشر**

أولا: قوله تعالى: (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكه المقربون

- وقد ثبت من طريق اللغة أن هذا الكلام يدل على المعطوف أفضل من المعطوف عليه ، لأنه لا يجوز أن يقال: لن يستنكف الوزير أن يكون خادما للملك ولا الشرطى أو الحارس ؛ وإنما يقال: لن يستنكف الشرطى أن يكون خادما للملك أو الوزير ،ففى مثل هذا التركيب يرتقى من الأدنى إلى الأعلى فإذا ثبت حق غيره .

- ورد على ذلك :بأجوبة أحسنها أنه لا نزاع فى فضل قوة الملك وقدرته وشدته وعظم خلقه ، وفى العبودية خضوع وذل وانقياد وعيسى عليه السلام لا يستنكف عنها ولا من هو أقدر منه وأقوى وأعظم خلقا. ولا يلزم من مثل هذا التركيب الأفضلية المطلقة من كل وجه".

ثانيا: ومما استدل به به على البشر قوله تعالى : (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب وأقول لكم إنى ملك) الأنعام ، الآية (٥٠) مثل هذا يقال بمعنى: إنى لو قلت ذلك لادعيت فوق منزلتى ولست ممكن يدعى ذلك،

- ورد على ذلك أن الكفار كانوا قد قالوا: (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق)، فأمر أن يقول لهم: أنى بشر مثلكم احتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من الاكتساب والأكل والشراب ، لست من الملائكة الذين لم يجعل الله لهم حاجة إلى الطعام والشراب فلا يلزم حينئذ الأفضلية المطلقة.

-

ثالثا: ما روى مسلم باسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير". ومعلوم أن قوة البشر لا تدنى قوة الملك ولا تقاربها ... ، وقال الآخرون الظاهر أم المراد المؤمن من البشر – والله اعلم – فلا تدخل الملائكة فى هذا العموم .

رابعا: ما ثبت فى الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل : " أنا عند حسن ظن عبدى بى وأنا معه أن ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملاء خير منهم "، وهذا نص فى الأفضلية، وقال الآخرون : يحتمل أن يكون المراد خيرا منه للمذكور لا الخيرية المطلقة .

- قال شيخ الاسلام ابن تيميه : " أن صالحى البشر أفضل باعتبار كمال النهاية . وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى وسكنوا بالنظر إلى وجهه الكريم ؟ وقامت الملائكة فى خدمتهم بإذن ربهم . والملائكة أفضل باعتبار البداية ، فإن الملائكة الآن فى الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون فى عباده الرب ، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر.
- **ونقل عنه ابن القيم:** "أنه سئل عن صالحي بني آدم والملائكة أيهما أفضل؟ فأجاب بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهين عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة"، قال: "وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقين، ويصالح كل منهم على حقه" [1] .

---

١ – الثمرات الذكية في العقائد السلفية (ص ٣٦٣) .

عصمة الملائكة:

قال جمهور العلماء: " أن معصمون من الذنوب ومخالفة الله تعالى فى أى أمر . وما ورد فى القرآن مما يوهم غير ذلك يجب حملة على الوجه المناسب لعصمتهم . فمن اعتراض بأن إبليس كان من الملائكة فعصى : أجيب بأن الله وصف الملائكة بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، وقد ذكر القرآن أن إبليس كان من الجن كما استثنى من الملائكة وذلك يدل على أنهم منهم .

والتوفيق السليم أن يقال : أن إبليس كان من الجن حقيقة، وكان من الملائكة حكما ، أى لشدة عبادته وبعده عن المخالفة أول الأمر كان شبيها بالملائكة فاخذ حكمهم .

ومن اعترض بقول الملائكة لله فى ادم قبل خلقه . (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) [1].

أجيب بأن الملائكة لله لم ترد بهذا القول غيبة ادم . ولا تزكية أنفسهم ولا الظن السيء كما قد يتوهم ، وإنما أرادو السؤال عن الحكمة فى خلق آدم فى الارض ، وكانو قد علموا عن الله تعالى ما يحصل من ذريته من الإفساد أو قولهم سبية أن الأرض كانت مسكونة قبل ادم بمخلوقات أفسدت وسفكت الدماء . ومن اعتراض بأن هاروت وماروت قيل أنهما كانا ملكين بكسر اللام وقرئ بذلك ، وحينئذ فلا إشكال لأنهما آدميان .

القول الثانى: إنهما نزلا بأمر الله فى زمن كثر فيه السحر والسحرة ودعوى السحرة أنهم أنبياء لأنهم يأتون بأمور خارقة للعادة، فنزل الملكان فى صورة بشر وعلما الناس السحر حتى يكذبوا السحرة فى ادعائهم النبوة ، وتعلم السحر للتوقى من ضرره غير محظور وغير ممنوع، بل قد يكون مطلوبا . وبهذا ثبت عصمة الملائكة ، وتسقط الاعتراضات الموجهه إليهم.

---

١ – سورة البقرة ، (٣٠) .

المبحث الخامس

الجـن والشيـطــان

من العالم الغيبي الذى أخبرنا عنه المولى تبارك وتعالى الجن . وأنهم خلقو من نار كما قال تبارك وتعالى : (خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجن من مارج من نار) [١].

كما بين القرآن أن الجان مكلفون شأنهم شأن بنى آدم والعلة فى خلقهم هى عبادة الله وحده إذا يقول المولى تبارك وتعالى: (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) [٢].

كما بين القران الكريم أن منهم المؤمنون ومنهم الكافرون والفاسقون إذ يقول المولى تبارك وتعالى: (وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا) [٣]

فمفاد الآية الكريمة واضح وتبين أن عالم الجن مكلفون كعالم الأنس وأنهم مجازون مثلهم . قال تعالى حاكيا قولهم : (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا * وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) [٤] .

<u>الفرق بين الجن والشيطان :</u>

اختلف علماء العقيدة فى الفرق بين الجن والشياطين ، فهناك رأى يقول : هما جنس واحد ، ويطلق الشيطان على المتمرد من الجن وهو الأرجح الذى تدل الأدلة عليه وهذا رأى جمهور العلماء وهناك رأى يقول: أن الحقيقتين متغايرتان، فالجن أجسام هوائية لطيفة تتشكل

---

١ – الرحمن (١٤ ـ ١٥)

٢ – الذاريات (٥٦ ـ ٥٨)

٣ – الجن (١١) .

٤ – الجن (١٤ ـ ١٥)

بالأشكال المختلفة وتظهر منها الأفعال العجيبة ، منهم المؤمن ، والكافر . أما الشياطين فهم أجسام نارية شأنها إضلال الناس وإلقاؤهم فى الغواية والهلاك[١].

حقيقتهم :

واما خقيقتهم التى خلقو منها فالله أعلم بها ،لأنه لم يرد ما يدل عليها ولكن العلماء استنبطوا من الأدلة الصحيحة .

أن الجن أجسام نارية تتشكل بالأشكال القبيحة ، وأنهم يعقلون ، وياكلون ويشربون وينامون ويتزوجون ، ويتناسلون وأن منهم الطائع ومنهم العاصى ،غير أن الشيطان منهم لا يطلق إلا على العصاة المردة المؤذيين[٢].

ويقول صاحب عقيدة المؤمن: أن الجن والشياطين تتم بينهم عملية التوالد بحسب طبيعة خلقهم وتكوينهم وأن لهم سنة فى ذلك تتم بحسبها وجود ذرية لهم ،كما تتولد سائر الأحياء ، كل على نظام السنة التى جعلها الله تعالى له . ويشهد لهذه الحقيقة ويقررها القرآن الكريم ، حيث جاء فيه قول الله تعالى: (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) [٣].

فإن النهى عن اتخاذه وذريته أولياء هو إبليس وذريته بدليل السياق. إذ أوله : (وإذ قلنا للملائكة اسجدو لأدم فسجدو إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه) [٤] ، كما ورد فى صحيح مسلم أن الشيطان يشارك الإنسان فى طعامه وشرابه وفراشه أن لم يذكر اسم الله تعالى عند أكله وشربه ومخالطة أهله ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

١ – تبسيط العقائد الإسلامية (ص ١٨٩) .

٢ – تبسيط العقائد الإسلامية (ص ١٨٩).

٣ – الكهف (٥٠) .

٤ – الكهف (٥٠) .

" لو أن أحدكم يقول حين يأتى أهله باسم الله اللهم جنبنى الشيطان ما رزقتنا ، ثم قدر بينهما فى ذلك أو قضى ولدا لم يضره الشيطان أبدا"[١].

أين يسكن الجان؟

الغالب فى الجن والشياطين أنهم يسكنون الخرائب ، والحشوش ، والمزابل ، والقمائم لحديث أبى داود : " أن هذه الحشوش محتضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث".

ومن هنا كانت الشياطين تنزل على أخباث الرجال والنساء من أهل الأثام والأفاكين ، والملوثين بالذنوب والجرائم والعظام . قال تعالى من سورة الشعراء: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) [٢] .

صلة الجن بالانسان :

أن اتصال الجن بالأنس ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأئمة غير أنه اتصال من نوع خاص فهو ليس كاتصال الأنس بالأنس، لأن الجن عالم غيبى يرانا ولا نراه ، وليس اتصال المشاركة فى الألآم والآمال ، والمتاعب والمشاكل والسلم والحرب والأمن والخوف، كما هو الشأن بالنسبة للصلة بين الإنسان والإنسان، وإنما هو اتصال من نوع خاص يناسب طبيعة كل منهما وفى الحدود التى رسمتها سنن الله تعالى وقوانينه الكونية والشرعية . فالجن موجود فى كل مكان يكون فيه إنس . ويحضرون أكله وشرابه ومجاسه لا يفارقونه أبدا إلا أن يحجزهم بذكر اسم الله الله تعالى . والجن مسلطون على الأنس بالوسوسة والأغواء والاضلال، وإيانا بالتمثيل والتشبيه بأشياء تزيد من إضلالهم للإنس وتكفيرهم ، وأحيانا يلبسون جسم الإنسان ، ويعيشون فيه بكيفية لا يعلمها إلا الله تعالى ، فيصاب الإنسان عن

---

١ – عقيدة المؤمن (ص ١٧٨) .

٢ – الشعراء (٢٢١ ـ ٢٢٣)

طريقهم بمرض من الأمراض كالصرع والجنون والتشنج وغير ذلك بقدر الله . كما يصاب الإنسان بغير ذلك من الأمراض والمصائب بسبب الإنسان .وقد يسرق لصوصهم أموال الإنسان وقد يكسر المشاغبون منهم الأونى والأشياء الثمينة كما يظهر أحدهم للانسان فى صورة إنسان ليقتله أو يوقعه فى مهلكة كبئر أو نهر أو نار.

والخلاصة انهم يتشكلون بالأشكال المختلفة التى عن طريقها يحاولون الأضرار بالإنسان أو نفعه. كما أن شياطينهم مسلطون بالوسوسة للإنسان بالأغواء والإضلال فهم مضرون ظاهرا وباطنا . غير أنه لا يضر منهم إلا الكافرون أو الفاسقون، أما الصالحون منهم فشأنهم شأن صالحى الإنسان لا يفعلون إلا الخير ، ولا يسعون إلا فيه.

كيف يتحصن المسلم من أذى الجن :

الله تبارك وتعالى أعطى الإنسان السر الذى يفسد على الجن وسوستهم ويحفظ نفسه من أضرارهم وآذاهم. فالإيمان الصادق عصمة لصاحبه من تسليط الشيطان عليه إلى النهاية. قال تعالى (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون *إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) [١].

ذكر الإمام أبو بكر الجزائرى سبعة أشياء للتحصن من أذى الشيطان وهى:

أولا : الاستعاذه بالله تعالى لقوله عز وجل : (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) [٢] .

ثانيا: قراءة المعوذتين: " قل أعوذ برب الفلق" ، و" قل أعوذ برب الناس " .

ثالثا: قراءة آية الكرسى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم ....) [١] .

---

١ – النحل (٩٩ ـ ١٠٠) .

٢ – فصلت (٣٦) .

رابعا: قراءة سورة البقرة بكاملها، لحديث مسلم : "لا تجعلو بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة" .

خامسا: ذكر لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

سادسا: الوضوء عند الغضب ، فمن غضب فليتوضأ فإنه يعصم نفسه من الشيطان أن يحمله على ارتكاب ما لا ينبغى، أو ما يحسن من قول أو فعل لحديث أبى داود : أن الغضب من الشيطان وأن الشيطان من النار ، وإنما تطفا النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضا"[٢] .

---

١ – البقرة (٢٥٥) .

٢ – عقيدة المؤمن (١٨٧- ١٨٨) .

الباب الثاني

الإيمان بالرسل والأنبياء

إن من رحمة الله عز وجل بعباده إرسال الرسل ليبينو للناس طريق الهداية ويخرجونهم من الظلمات إلى النور ومن عبادة الأوثان والأصنام إلى عبادة الواحد القهار ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والأخرة فوظيفة الرسايل إبلاغ الناس عن مراد الله تبارك وتعالى من توحيده وعبادته ، وبيان الطريق المستقيم للناس الذى يربطهم بخالقهم سبحانه وتعالى ،وعلاقة الانسان بأخيه الإنسان وعلاقته بالمجتمع ، وبيان مصير الانسان وجزائه ،فى اليوم الاخر بالجنة أو النار ، مما لا يمكنه الوصول إليه عن طريق أخر غير طريق الوحى الالهى المنزل على نبى أو رسول اختاره الله سبحانه واصطفاه ليتلقى عن الله وحيه ويبلغه إلى الناس ويسير فيهم على هدى هذا الوحى منفذا له ومطيعا بدقة لكل ما فيه من تشريعات وأخلاق وآداب . وفى هذا الفصل سنعرف الرسول والنبى والفرق بينهما وحكم الايمان بالرسل عليهم السلام، ثم تبين ما يجب وما يجوز وما يستحيل فى حق الرسل عليهم السلام .

الإيمان بالرسل والأنبياء

الإيمان بأنبياء الله ورسله ركنٌ من أركان الإيمان، فلا يتحقّق إيمان العبد حتى يؤمن بجميع الأنبياء، ويُصدّق بأنّ الله تعالى أرسلهم لهداية البشر، وإرشاد الخلق، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأنّهم بلّغوا ما أُنزل إليهم من ربّهم البلاغ المبين، فبلّغوا الرسالة، وأدّوا الأمانة، ونصحوا الأمة، وجاهدوا في الله حقّ جهاد ، قال الله تعالى: " آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"[1] ، وقال تعالى:" وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ" [2] ، أما الأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك فكثيرة جدا، منها الحديث الصحيح المشهور الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أمير المؤمنين عن عمر بن الخطاب، قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي. فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام؟. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله r، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلا» قال: صدقت. قال فعجبنا له، يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان!.قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه، فإنه يراك». قال: فأخبرني عن الساعة؟. قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: «أن تلد الأمة ربتها. وأن ترى الحفاة العراة، العالة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان». قال ثم انطلق. فلبثت مليا.ثم قال

([1]) سورة البقرة آية (٢٨٥)

([2])سورة البقرة آية (١٧٧)

لي: «يا عمر! أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم.قال: «فإنه جبريل. أتاكم يعلمكم دينكم»"[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: "ولا بُدّ في الإيمان أن يؤمن العبد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويؤمن بكلّ رسولٍ أرسله، وكلّ كتاب أنزله والإيمان بأنبياء الله تعالى لا يتمّ حتى يؤمن العبد بجميعهم من غير حصر، مَنْ قصّهم الله علينا، ومن لم يقصصهم؛ فقد أخبرنا جلّ وعلا أنّ هناك أنبياء لم يقصصهم علينا، قال تعالى: " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ"[2]"[3]

لذلك من كفر بالرسل وهو يزعم أنه يؤمن بالله فهو عند الله كافر لا ينفعه إيمانه فقال تعالى :" إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا"[4]

الإسلام دين جميع الأنبياء:

وكلّ كل واحد من الأنبياء والرسل عليهم السلام أن يقول لقومه: {اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ"[5] فهم متفقون على الدعوة إلى التوحيد الخالص، والنهي عن الشرك. فالغاية التي بُعثوا من أجلها: إفراد الله تعالى بالعبادة، والنهي عن جميع الموبقات؛ من الكفر، والفسوق، والعصيان ، والشرائع كلها تدعو إلى هذه الغاية العظيمة؛ إذ هي مهمة جميع الرسل، من لدن نوحٍ عليه السلام، إلى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

([1])رواه البخاري ومسلم حـ١ ص : ٢٥٩ والترمذى في الإيمان والنسائي في باب نعت الإسلام من حديث عمر بن الخطاب وابن ماجة من حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما .

([2])سورة غافر آية (٧٨)

([3])الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٧٧

([4])سورة النساءآية ١٥٠– ١٥٢

(٥)سورة المؤمنون آية (٢٣)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: "فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم، هو دين الإسلام؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له. وعبادته تعالى في كلّ زمان ومكان بطاعة رسله – عليهم السلام – فلا يكون عابداً له من عبده بخلاف ما جاءت به رسله، كالذين قال فيهم:" أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ "[1] فلا يكون مؤمناً به إلا من عبده بطاعة رسله، ولا يكون مؤمناً به ولا عابداً له إلا من آمن بجميع رسله، وأطاع من أرسله إليه، فيطاع كل رسول إلى أن يأتي الذي بعده، فتكون الطاعة للرسول الثاني" [2].

أهمية الرسل والرسالات

لما كان الإنسان مخلوقا على وجه يقتضي – بحسب حكمة الخالق – اختبار إرادته وسلوكه في الحياة، ولا يتم اختبار إرادته وسلوكه إلا بأن يوضع في مجال الاختبار الكامل، وذلك : بتعريفه بطرق الخير وطرق الشر ثم بإرشاده إلى طرق الخير وحثه عليها، وترغيبه بالثواب إذا هو اختارها وسلك فيها، وبتنبيهه إلى طرق الشر، وتحذيره منها ، وترهيبه من العقاب إذا هو اختارها وسلك فيها، ثم بتوجيه الأوامر والنواهي له ،وتحديد طرق الحلال والحرام ولا يمكن معرفة أوامر الله ونواهيه،وطرق الحلال والحرام التي حددها، إلا من جهته تعالى.

وقد اختار الله أقرب السبل لمعرفة ذلك بأن أوحى لطائفة من البشر اصطفاهم لحمل رسالاته للناس، وكملهم بالكمال،الإنساني، وعصمهم عن المعاصي والذنوب والانحرافات في السلوك، وصانهم عن الخطأ في نقل أحكام الله وشرائعه للناس،وأيدهم بتأييد معجز من عنده ولو لم يرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، لكان للناس على الله حجة بأنه لم يرسل لهم من

---

(١) سورة الشورى آية (٢١)

(٢) النبوات للإمام ابن تيمية (صـ٣٩)

يبلغهم أوامر الله ونواهيه،وسائر شرائعه لخلقه، ويرغيهم بثوابه، وينذرهم بعقابه، حتى يعرفوا واجبهم نحو ربهم.[1]

ومن هنا يتضح لنا حاجة الناس إلى رسل يبلغونهم شرائع الله لخلقه وممن جلى هذه المسألة وبينها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قال:" الرسالة ضرورية للعباد، لا بدَّ لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأيُّ صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، وبناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[2] ، فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وأمّا الكافر فميت القلب في الظلمات".

وبين رحمه الله تعالى:" أن الله سمّى رسالته روحاً، والروح إذا عدم فقدت الحياة، قال الله تعالى:(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[3]، فذكر هنا الأصلين، وهما: الروح، والنور، فالروح الحياة، والنور النور" وبين رحمه الله تعالى:" أن الله يضرب الأمثال للوحي الذي أنزله حياة للقلوب ونوراً لها بالماء الذي ينزله من السماء حياة للأرض، وبالنَّار التي يحصل بها النور.

([1]) العقيدة الإسلامية وأسسها ص (٣٠٤)

([2]) الأنعام (١٢٢).

([3])الشورى(٥٢).

وهذا كما في قوله تعالى:" أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ" [١].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله معقباً على الآية:" فشبه العلم بالماء المنزل من السماء لأن به حياة القلوب، كما أنَّ بالماء حياة الأبدان، وشبّه القلوب بالأودية، لأنّها محلّ العلم، كما أنَّ الأودية محل الماء، فقلب يسع علماً كثيراً، وواد يسع ماءً كثيراً، وقلب يسع علماً قليلاً، وواد يسع ماءً قليلاً، وأخبر تعالى أنَّه يعلو على السيل من الزبد بسبب مخالطة الماء، وأنّه يذهب جفاءً، أي: يرمى به، ويخفى، والذي ينفع الناس يمكث في الأرض ويستقر، وكذلك القلوب تخالطها الشهوات والشبهات، ثم تذهب جفاءً، ويستقر فيها الإيمان والقرآن الذي ينفع صاحبه والناس، وقال:(وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ)[٢]. فهذا المثل الآخر وهو الناري، فالأول للحياة، والثاني للضياء.

وبين رحمه الله أن لهذين المثالين نظيراً " وهما المثالان المذكوران في سورة البقرة في قوله تعالى:"مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ"[٣].

وبعد أن بيَّن الشيخ رحمه الله وصف المؤمن، بين وصف الكافر، فقال:"وأمّا الكافر ففي ظلمات الكفر والشرك غير حيّ، وإن كانت حياته حياة بهيمية، فهو عادم الحياة الروحانية العلوية التي سببها الإيمان، وبها حصل للعبد السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، فإنّ الله – سبحانه – جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتكميل

([١])الرعد (١٧).

([٢])الرعد (١٧).

([٣]) البقرة (١٧-١٩).

ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم، وبعثوا جميعاً بالدعوة إلى الله وتعريف الطريق الموصل إليه، وبيان حالهم بعد الوصول إليه ".

ثم بيّن رحمه الله هذه الأصول التي أشار إليها هنا فقال: " **فالأصل الأول:** يتضمن إثبات الصفات والتوحيد والقدر، وذكر أيام الله في أوليائه وأعدائه، وهي القصص التي قصّها الله على عباده والأمثال التي ضربها لهم.

والأصل الثاني: يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والإباحة، وبيان ما يحبه الله وما يكرهه.

والأصل الثالث: يتضمن الإيمان باليوم الآخر، والجنّة والنار والثواب والعقاب".[1]

ثم بيّن أنَّ "على هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر، والسعادة والفلاح موقوفة عليها، ولا سبيل إلى معرفتها إلاّ من جهة الرسل، فإنَّ العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة، كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلى الطب ومن يداويه، ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض، وتنزيل الدواء عليه"[2].

وتتلخص حاجة الناس إلى الرسل بما يلي :

١- لو ترك الناس لأنفسهم من غير تنبيه وإرشاد لظلوا في الضلالات يتيهون، وذلك بسبب اندفاعهم وراء غرائزهم وشهواتهم وأنانياتهم ، وظلوا يتخبطون بالظلمات في أوحال المفاهيم الباطلة، والأخلاق الفاسدة ، والعادات المنحرفة ، والتقاليد السيئة ، لذلك كان الناس بحاجة إلى رسل ينبهونهم ويرشدونهم ، ولذلك أرسل الله لهم الرسل بحكمته .

٢- إن الناس بحسب التقويم الذي فطرهم الله عليه ، قد خلقهم الله ليختبر إرادتهم، وليبلوهم أيهم أحسن عملا، ولولا أن أرسل الله إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، لكان لهم عذر وحجة عند ربهم يوم القيامة لدى محاسبتهم على كفرهم و مخالفاتهم بأنه لم يرسل لهم من ينبههم،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٩٤/١٩.

(٢) المرجع السابق: ٩٦/١٩.

ويدلهم على الله، ويبين لهم الفضائل، ويحذرهم من الرذائل، ولقالوا لربهم يوم الحساب : يا ربنا لو أرسلت إلينا رسولا لكنا اتبعناه، ولم نخالف له أمرا، ولذلك كان الناس بحاجة إلى رسل من عند الله ، ولذلك أرسل الله لهم الرسل بحكمته .

٣- الناس لا يستطيعون بأنفسهم أن يتوصلوا إلى جميع الخيرات والفضائل الإنسانية، ويتفقوا عليها؛ لأن عوامل غرائزهم وشهواتهم وأهوائهم وأنانياتهم، تصرفهم عن الحق والخير، فتزين لهم الباطل والشر، لذلك فهم بحاجة إلى رسل من عند الله معلمين ومبشرين ومنذرين.[١]

([١]) العقيدة الإسلامية وأسسها ص (٣٠٧).

تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

أولا : تعريف النبي لغة :

جاء معنى النبي في اللغة العربية:

– **إما من النبأ :** و هو الخبر ، فقال تعالى :" ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾"[١] وقال تعالى :" نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"[٢] ، سُمي النبي نبيًّا لأنَّه مُنبَأ؛ أي: مُخْبَر من الله عزَّ وجلَّ، وهو أيضًا مُنْبِئٌ؛ أي: مُخبِر عن الله عزَّ وجلَّ بما يُوحِيه الله إليه .

–**أو من (النباوة) و(النبوة)** : الرفعة والعلو، لأن (النباوة أو النبوة: هي الشيء المرتفع).

– **أو من (النبي) بدون همز**، فيكون معناها الطريق إلى الله عز وجل لأن معنى "النبي" الطريق. [٣].

ولو نظرنا إلى النبوة الشرعية لوجدنا أنها تشمل كل هذه المعاني إذ النبوة إخبار عن الله عز وجل، وهي رفعة لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم، وهى الطريق الموصلة إلى الله سبحانه،' فالنبي هو مخبر عن الله عزوجل وهو أيضاً مرتفع المكانه وله الشرف والفضل فى قومه ، فالأنبياء هم أشرف الخلق والأعلام التى يهتدى بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم .

ثانياً :تعريف الرسول لغة : مأخوذٌ من البعث وهو الإرسال والتوجيه؛ فالرسول هو المبعوث المُوجَّه برسالة؛ قال تعالى عن ملكة سبأ:" وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ"[٤].فالرُّسلُ عليهم الصلاة والسلام إنما سُمُّوا رسلاً لأنهم بُعثوا من قِبَلِ الله تعالى برسالةٍ حملوها وأُمِروا بتبليغها للناس؛ قال تعالى:"وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ

---

(١) سورة النبأ أية (١،٢)

(٢) سورة الحجر آية (٤٩)

(٣)انظر: لسان العرب مادة "نبأ" (١/١٦٢– ١٦٣)، ومعجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٨٤، ٣٨٥).

(٤) سورة النمل ٣٥)

"[1]، وقال تعالى:"ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ "[2]؛ أي: بعثناهم يتبع بعضهم بعضًا.

تعريف النبي والرسول فى الاصطلاح والفرق بينهما :

اختلف العلماء فى تعريف النبي والرسول فى الاصطلاح وفى التفريق بينهما وذلك لفهم كل منهم للنصوص التى ورد فيها لفظ النبي والرسول ،وعدم وجود نص شرعي ثابت يفرق بينهما على وجه الدقة .

اختلف العلماء فى تعريف النبي والرسول والتفريق بينهما إلى فريقين :

١ الفريق الأول : القول بالفرق بين النبي والرسول وهذا قول الجمهور

٢ الفريق الثاني : القول بعدم الفرق بين النبي والرسول وهذا قول المعتزلة ومن وافقهم .

الفريق الأول : القول بالفرق بين النبي والرسول

قال هذا الفريق بأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول هذا قول جمهور أهل العلم وعامة أهل السنَّة ، واستدلوا بالآتي :

-قوله تعالى :" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ "[3] ووجه الاستدلال أنه عَطف بالواو فقال: ﴿ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيّ ﴾، والعطف بالواو يقتضي المغايرة؛ مغايرة الذات أو مغايرة الصفات، وهنا المقصود منه: أن الصفة التي صار بها رسولاً غيرُ النعت الذي صار به نبيًّا، وهو المقصود مع تحقُّق أن الجميعَ وقع عليهم الإرسالُ.[4]

فالنبي اعم من الرسول فتم تقديم الرسول لمناسبته لقوله (ارسلنا) وتأخير النبي لتحصيل العموم ، لأنه لو اقتصر على رسول لم يدخل ذلك من كان نبيا غير رسول.

---

(١) سورة النحل آية (٣٦)

(٢) سورة المؤمنون آية (٤٤)

(٣) سورة الحج آية (٥٢)

(٤) معالم النبوة في الكتاب والسنة صـ٢٩

-قوله تعالى :" مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"[1]

فسر الإمام ابن كثير هذه الآية وقال :" فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول [بعده] بطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ، فإن كل رسول نبي ، ولا ينعكس "[2]

واستدل الإمام بالأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة:

ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها ، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ، ويقولون : لو تم موضع هذه اللبنة ؟ فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة "[3] .

وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدي ولا نبي . " قال : فشق ذلك على الناس قال : قال : ولكن المبشرات " . قالوا : يا رسول الله ، وما المبشرات ؟ قال : " رؤيا الرجل المسلم ، وهي جزء من أجزاء النبوة "[4]"[5].

---

(١) سورة الأحزاب(آية ٤٠)

(٢)تفسير القرآن العظيم ، للإمام ابن كثير ، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ ، (٣٨١/٦)

(٣)الجامع الكبير (سنن الترمذي) للإمام الترمذى ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم، حديث (٣٦١٣)

(٤)المصدر السابق ، باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات كتاب الرؤيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،(١١٨/٤) حديث رقم (٢٢٧٢)

(٥) تفسيرالقرآن العظيم للإمام ابن كثير (٣٨١/٦)

-ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم: سئل عن آدم أنبي هو؟ قال: (نعم نبيٌّ مكلَّمٌ")[1]

: فان النبوة ثبتت لآدم – عليه السلام – فآدمُ كما صح في الحديث، وأن هناك أنبياءَ جاؤوا بعد آدم – عليه السلام – كإدريس وشيث وكغيرهما. وإدريس ذكره الله – عز وجل – في القرآن، والرُّسل: أولهم نوح – عليه السلام ، لما جاء في حديث الشفاعة أن الناس يذهبون إلى نوح فيقولون: " أنت أول رسول بعثه الله إلى الأرض " ، وجعل الله – عز وجل – أولي العزم من الرسل خمسة، وجعل أولهم نوحًا – عليه السلام ، فهذا يدل على أن آدم – عليه السلام – لم يحصُل له وصف الرسالة، بل جاء في الحديث قولُه – صلى الله عليه وسلم –: ((آدمُ نبيٌّ مكلَّمٌ))، ووُصِف نوحٌ بأنه رسول، ووصف إدريس بأنه نبي، فدل هذا على التفريق بين المقامين.

-استدلوا أيضاً رواه أبي ذر الغفاري قال : قلت: يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وبضع عشر جما غفيرا" وفي رواية عن أبي أمامة قال أبو ذر: قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا" وهذا الحديث حسَّنه بعض أهل العلم، وإن كان إسناده – عند التحقيق – فيه ضعْفٌ؛ لكن فيه جمل صحيحة، وهو حديث طويل، رواه ابن حبان"[2] .

أقوال علماء التفريق بين النبي والرسول:

- **ذهب بعض العلماء إلى القول بأن الرسول هو من أوحى إليه وأمر بالتبليغ ، والنبي هو من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ**

رد بعض العلماء على ذلك بأمور :أن الله نص على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل والدليل على ذلك قوله تعالى :" فالإرسال يقتضي من النبي الإبلاغ ، وترك البلاغ يعنى

---

(١)المسند الصحيح للإمام ابن حبان ، المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م ، (٩٨/٤) حديث رقم (٣١١٣)

(٢)المسند الصحيح للإمام ابن حبان، باب ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها ،(٥٢٣/١) حديث رقم (٨٠٧)

كنمان لوحى الله تعالى والله لا ينزل وحيه ليكتمه ويدفن في صدر واحد من الناس ثم يموت هذا بموته ، وجاء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : عرضت علي الامم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبى ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد ،فهذا يدل على أن الانبياء عليهم البلاغ وأنهم متفاوتون في مدى الاستجابة لهم "[١].

- **ذهب بعض العلماء إلى القول بان الرسول من اوحي إليه بشرع جديد والنبي المبعوث لتقرير شرع من قبله**

رد الإمام ابن تيمية على ذلك وقال :" وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة؛ فإنّ يوسف كان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة٤قال تعالى عن مؤمن آل فرعون:" وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ في شَكّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً"[٢] ، وقال تعالى: "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً"[٣]

ذهب بعض العلماء إلى أن الرسول من اوحي إليه وأرسل إلى قوم كفار يدعوهم للتوحيد والنبي من أوحي إليه وأرسل إلى قوم مؤمنين

رد العلماء على ذلك وقالوا :" أن الانبياء يمكن أن يبعثوا إلى كفار كما انهم قد يبعثوا إلى مؤمنين ودليل ذلك قوله تعالى :" وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا "[٤]وكذلك قوله تعالى :" وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ"[١] فهذا يدل على أن الله تعالى يبعث الانبياء للمؤمنين يبعثهم أيضا للكافرين "[٢]

---

(١) الرسل والرسالات لد . عمر سليمان الأشقر صـ١٤-١٥

(٢)سورة غافر، الآية ٣٤

(٣)سورة النساء، الآيتان ١٦٣-١٦٤

(٤) سورة الفرقان آية (٣١)

الفريق الثاني : القول بعدم الفرق بين النبي والرسول وهذا قول المعتزلة ومن وافقهم: قالوا بعدم الفرق بين النبي والرسول بل يرون أنه لا يصح اثبات نبي ليس بمرسل فالمعتزلة لا يفرقون بين النبي والرسول إلاّ في الاشتقاق اللغوي فقط. في نظرهم، النبي والرسول مترادفان، فكل نبي رسول وكل رسول نبي. وإنما جمع بينهما لأن الأنبياء تخص البشر، والرسول تعم الملائكة والبشر. وقال القاضي عبد الجبار المعتزلي: "إنه لا فرق بين النبي والرسول. والذي يدل على اتفاق الكلمتين في المعنى هو أنهما يثبتان معاً ويزولان معاً في الاستعمال، حتى لو أثبت أحدهما ونفي الآخر لتناقض الكلام، وهذا هو أمارة اللفظين المتفقين في الفائدة".

وقد رد المعتزلة على القائلين بالفرق بين النبي والرسول استدلالا بقوله تعالى: "وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رّسُولٍ وَلاَ نَبِيّ إِلاّ إِذَا تَمَنّىَ أَلْقَى الشّيْطَانُ فِيَ أُمْنِيّتِهِ فَيَنسَخُ اللّهُ مَا يُلْقِي الشّيْطَانُ ثُمّ يُحْكِمُ اللّهُ آيَاتِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"(٣) ، حيث عطف القرآن الكريم النبي على الرسول، والعطف يقتضي المغايرة، فيجب أن يكون هناك فرق بينهما، فأجاب المعتزلة: "إن الكلمتين متفقتان في المعنى، والذي يدل على ذلك هو أنهما يثبتان معا ويزولان معا في الاستعمال حتى لو أثبت أحدهما ونفى الآخر لتناقض الكلام. وهذا أمارة إثبات كلتى اللفظتين المتفقتين في الفائدة"(٤). ويعني المعتزلة بهذا الدليل هو اتفاق المعنى بين لفظي نبي ورسول، فخاطب الله تعالى محمداً مرة بالنبي، ومرة بالرسول فدلَّ على أنَّه لا منافاة بين الأمرين، وقوله تعالى:"

---

(١) سورة الزخرف آية (٧)

(٢) مسائل النبوة من كتاب احاديث الانبياء من الجامع الصحيح للإمام البخارى ،صفية سيافى أحمد ، جامعة الملك سعود ١٤٢٠ ١٩٩٩م صـ٣٥

(٣)سورة الحج آية (٥٢)

(٤)شرح الاصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ، تحقيق د /هبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، صـ٥٦٨

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مّن نّبِيّ إِلاّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ وَالضّرّآءِ لَعَلّهُمْ يَضّرّعُونَ"[1]. وكأنهما لفظان مترادفان، بحيث لو أثبتنا لفظا وفي نفس الوقت نفينا اللفظ الآخر، فإن الكلام لا يتسق، كما لو قلنا مثلا: "أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي وليس رسولا، أو قلنا: إنه رسول وليس نبيا، وموقفهم من الاستدلال بالآية السابقة هو أن مجرد الفصل لا يدل على اختلاف الجنسين، ألا ترى أنه تعالى فصل بين نبينا وغيره من الأنبياء، ثم لا يدل على أن نبينا ليس من الأنبياء، وكذلك فإنه تعالى فصل بين الفاكهة وبين النخل والرمان ولم يدل على أن النخل والرمان ليسا من الفاكهة كذلك ههنا"[2]

والرأى الراجح فى هذه المسألة هو رأى الفريق الأول قول جمهور العلماء فالقرآن الكريم ساوى بين النبي والرسول في الوحي والتبليغ وهناك فرق بينهما ولكن لم يبين ذلك بيانًا دقيقاً .

الصفات الواجب توافرها في الرسل

الأنبياء و الرسل أكمل الخلق على الإطلاق علما وعملا، وأكمل الخلق أخلاقا، وأنهم منزهون ومعصومون عن العيوب الخلقية من سقم وأذى، وأنهم لا يملكون شيئا من الخصائص الإلهية، فلا يتصرفون في الكون، ولا يملكون لأحد ضرا ولا نفعا، ولا يعلمون الغيب، ويمكن أن تفصل الصفات التي يجب توافرها في الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، على النحو الآتي:

أولا: العصمة:

الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله عز وجل فلا يكون خبرهم إلا حقاً ،وهذا معنى النبوة وهو يتضمن أن الله ينبئه بالغيب وأنه ينبئ

---

(١) سورة الأعراف آية (٩٤)

(٢) شرح الاصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ، صـ٥٦٨

الناس بالغيب والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه ، أما كبائر الذنوب فلا تصدر من الأنبياء أبدا وهم معصومون من الكبائر ، سواء قبل بعثتهم أم بعدها.

قال ابن تيمية – رحمه الله – إن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام ، وجميع الطوائف وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل لم يُنقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول وأما صغائر الذنوب فربما تقع منهم أو من بعضهم ، ولهذا ذهب أكثر أهل العلم إلى أنهم غير معصومين منها ، وإذا وقعت منهم فإنهم لا يُقرون عليها بل ينبههم الله تبارك وتعالى عليها فيبادرون بالتوبة منها.

ثانيا: الفطانة

وهي لغة: من فطن لأمر – فطنه أي تبينه وعلمه، وفطن للأمر أي تنبه له. وتعد قوة استعداد الذهن لإدراك ما يرد عليه[١] ولم يبعث نبي إلا وكان على جانب عظيم من الذكاء والنباهة مع كمال العقل والرشد[٢]. لقوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ)[٣].

فبالفطانة يستطيع النبي أو الرسول أن يعرف ما يلقى إليه من الوحي، وبها يستطيع أن يحفظه ولا ينساه، وبها يستطيع أن يبلغه كما أوحى به إليه، وبها يستطيع بعد ذلك أن يعالج أمته بالتربية الحكيمة، والقيادة السليمة، وفق طبائعهم وأخلاقهم، وبها يستطيع أن يحاجج ويجادل الخصوم. ومن هنا تتضح أهمية هذه الصفة وضرورة توافرها عند الأنبياء. لأن عدم وجودها يتنافى مع الحكمة من إرساله، ذلك لأنهم يرسلون إلى الكفار من الناس، ليحاججوهم ويقنعوهم بأهمية ما يوحي به إليهم.

---

(١) المعجم الوسيط ص (٦٩٥).

(٢) النبوة والأنبياء لمحمد الصابونى ص (٤٨).

(٣) سورة الأنبياء الآية (٥١).

والأدلة التي تشهد لفطانة الرسل عليهم السلام في القرآن الكريم كثيرة كقوله تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)[1].

فإن إبراهيم عليه السلام قد جادل النمرود الطاغية الذي ادعى الألوهية، فحاجه وبهته حيث إن إبراهيم عليه السلام قال للنمرود عندما سأله من ربك ؟ فأجابه: ربي الذي يحيي ويميت، فقال النمرود: أنا أحيي وأميت ؟ فأتي برجلين قد حكم عليهما بالإعدام، فأمر بعدم قتل أحدهما مع الحكم بإعدامه، فبزعمه أنه أحياه، وأمر بقتل الثاني فبزعمه أنه أماته، فتنبه سيدنا إبراهيم عليه السلام للأمر وبدأ بإبطال ما ادعاه النمرود، وبكل حكمه وفطنة عظيمتين، ونقله إلى مظهر آخر من مظاهر أفعال الله سبحانه وتعالى فقال له: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب؟! عندئذ بهت النمرود ولم يجد جوابا، فسقط بذلك ادعاؤه الربوبية، لهذا قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[2].

وثبت له موقف آخر عندما حطم الأصنام، وكان آنذاك فتى صغيرا، عندما علق القدوم على عنق أكبر الأصنام حجما ليقيم الحجة على قومه... فحين علموا أنه هو الفاعل قدموه للمحكمة وسألوه: من الذي حطم آلهتنا، وأقدم على تكسير الأصنام؟ هل أنت فعلت ذلك يا إبراهيم؟ فأجابهم عليه السلام: إنني لم أحطمها ولكن الصنم الكبير والإله العظيم بزعمهم – هو الذي حطمها لأنه لم يرض أن تعبد معه، والدليل على ذلك أنه وضع القدوم في عنقه، وإذا لم تصدقوا كلامي فاسألوهم عن ذلك الأمر وسلوه

وفي هذه الرحلة كان قد بلغ إبراهيم إلى غايته وهدفه، فأقام عليهم الحجة بعد أن سفه عقولهم، وجعلهم يضحكون من أنفسهم ...

([1])الأنعام (٨٣).

([2]) البقرة (٢٥٨).

وهكذا يكون منطق الأنبياء وذكائهم وفطنتهم، فقال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ* قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ* قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ* قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)[1].

ومما يدل على فطنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا).[2]

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على كمال الذكاء والفطنة اللتين يتصف بهما النبي صلى الله عليه وسلم – وكذلك تحريك لسانه صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم لحفظه وخشية ذهابه، وهذا من حدة الفطنة والذكاء، لقوله تعالى:(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ*إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)[3] ولذلك شهد الله له بأنه لا ينسى، وهذا دليل على قدرة الذكاء فقال تعالى: (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى)[4] وأن الله سبحانه وتعالى أمر نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم بمجادلة خصومه بالتي هي أحسن، والمجادل عليه أن يتميز بنباهة زائدة وفطانة عالية حتى يوصل خصومه إلى طريق الحق ويعرفهم به، وهذا دليل على فطانته وذكائه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[5] فالأنبياء لو لم تجب في حقهم هذه الصفة لكانوا عاجزين عن الدعوة إلى الله وإلى دينه، ولما استطاعوا أن يدحضوا أباطيل خصومهم، وإقامة الحجة عليهم، فتصبح رسالتهم عيبا عليهم وتضيع فائدتها. فالأنبياء

([1]) الأنبياء (٥١-٥٧).

([2]) طه (١١٤).

([3]) القيامة (١٦)(١٧).

([4]) الأعلى (٦).

([5]) النحل (١٢٥).

متصفون بالذكاء والفطانة، والله يختار المنصب النبوة الذكي الفطن ، ولا يختار لها من اتصف بالغباوة والبلادة وضعف التفكير.

ثالثا: الصدق:

الصدق لغة مطابقة الحكم للواقع، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: قول الحق في مواطن الهلاك، وقيل: أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب، وقيل: الصدق هو ضد الكذب، وهو الإبانة عما يخبر به على ما كان.

والصدق صفة ملازمة للأنبياء عليهم السلام، فهي من الصفات الفطرية فيهم، ومن هنا يتضح أنه من الواجب أن يتصف جميع الأنبياء بهذه الصفة في كل ما يبلغون عن الله، ولا يقع منهم الكذب في شيء من حياتهم العامة أو الخاصة ليكونوا قدوة للناس، وبالتالي فإن الكذب محال عليهم، فلا يمكن للنبي أن يصدر منه صفة قبيحة، أو ما يخل بالمروءة كالكذب وأكل أموال الناس بالباطل، أو الخيانة، أو سرقة القمة، لأن هذه الصفات لا تليق برجل عادي، فكيف بنبي مقرب أو رسول مكرم؟!

ولو عرف أحد الرسل بين الناس بالكذب، لم يسلموا له بدعوى الرسالة، ورفضوا الالتفات إليه ابتداء لما يعلمون من كذبه، وذلك إخلال بمهمة الرسالة ونقض لها، وعثرات في طريق المهتدين إلى الصراط المستقيم. ولهذا يؤيد الله تعالى رسله بالمعجزة التي لا يعارضها أحد وهي دليل على صدقهم، فلو كان أحدهم كاذبا ما أجرى على يديه المعجزة، زيادة على أنه لا يبعثه أصلا، ولأن الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، لقوله تعالى:(اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)[1]. فإنه لا يجعلها في كذاب مفتر وحاشى لله.

وقد أشار سيدنا موسى عليه السلام في دعوة فرعون إلى أن شاهد المعجزة دليل ص دقه في النقل عن ربه، ولو كان كاذبا لم يجر الله على يديه المعجزة، لقوله تعالى: (وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ *حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ

([1]) الأنعام (١٢٤).

بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ)[1]، أى: لما دخل على فرعون ومن معه أخوه هارون بعثهما الله إليه بالرسالة قال (يا فرعون إنى رسول) أى إليك (من رب العالمين) ادعوك إلى عبادة رب العالمين وأنهاك عن دعوى الربوبية فقال له فرعون كذبت ما أنت برسول فقال موسى:(حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) أى: حريص على ألا أقول على الله إلا الحق[2].

وقد ثبت صدق رسولنا صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)[3]، وهذا دليل على أن الله تبارك وتعالى لا يمكن أن يقر رسله على الكذب؛ لأنهم أصدق الخلق بدليل أنهم حملوا رسالة رب العالمين إلى البشر.

ويقول الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: أي: محمد صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفتريا علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئا من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة. ولهذا قال (لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ قيل: معناه لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش،(ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) قال ابن عباس: وهو نياط القلب، وهو العِرْقُ الذي القلب معلق فيه، وقوله:(فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) أي: فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئا من ذلك. والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد؛ لأن الله، عز وجل، مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات[4].

([1]) الأعراف (١٠٤-١٠٥).

([2]) انظر: تفسير ابن كثير ٤٥٤/٣.

([3]) الحاقة (٤٤-٤٧).

([4]) انظر: تفسير ابن كثير ٢١٨/٨.

وقد شهد القرآن الكريم بصدق النبى – صلى الله عليه وسلم – وأن ما جاء به وحى من الله وهو الحق يقول الله تعالى :(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)(١) ، وقوله تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)(٢).

وهذا يبين للعرب وللبشرية قاطبة بأنه صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين، كيف لا وقد شهد له الأعداء قبل الأصدقاء بالأمانة والصدق، سأل هرقل ملك الروم، أبا سفيان بن حرب قبل إسلامه– عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم، هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبوسفيان: ما عرفنا عليه كذبا قط ! فقال هرقل بعد ذلك قولته المشهورة: ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله"(٣).

وقد اشتهر الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بأنه الصادق الأمين، وكان المشركون يسمونه بذلك، هذا أحد سادات قريش يلتقي بأبي الحكم عمرو بن هشام ، في إحدى طرقات مكة، فيسأله قائلا: يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك، أشهدك الله هل محمد صادق أمين أم كاذب ؟ فأجابه عمرو بن هشام بكل صراحة: والله أن محمدا صادق، وما كذب يوما قط... قال فما الذي يمنعكم من إتباعه ؟ فقال له أبو جهل: تنافسنا نحن وبنو هاشم، وتنازعنا الزعامة والفخر، وأطعموا فأطعمنا، وسقوا فسقينا، وأجاروا فأجرنا، حتى كنا كفرسي رهان، أي استوينا وإياهم في السبق والفخر – ثم زادوا علينا فقالوا بعث منا نبي فمن أين نأتيهم بنبي ؟ والله لا نؤمن به ولا نتبعه، وفي هذا أنزل الله جل ثناؤه تسلية لنبيه قوله تعالى:(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ

---

(١) النجم (٣-٤).

(٢) النساء (١٧٠).

(٣) النبوة والأنبياء للصابونى

يَجْحَدُونَ)[1].فهذا هو عدو الله يقر ويعترف بصدق الرسول، ولكن يمنعه من اتباعه حب الزعامة والرئاسة، وصدق من قال: والفضل ما شهدت به الأعداء.

رابعا: الأمانة والوفاء وأداء الوديعة:

إن صفة الأمانة من الصفات الضرورية للأنبياء عليهم السلام، والنبي أمين على الوحي، فهو يبلغ أوامر الله ونواهيه إلى الناس دون زيادة أو نقص، ودون تحريف أو تبديل.

إن هذه الصفة لازمة لجميع الأنبياء عليهم السلام، لذا قال تعالى على لسان نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام في مخاطبتهم لأقوامهم: (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)[2] أى" أي: إني رسول من الله إليكم، أمين فيما بعثني به، أبلغكم رسالة الله لا أزيد فيها ولا أنقص منها،و مأمون على ما أبلغكموه. ومن كان أمينًا على أمور الدنيا كان أمينًا على الوحى والرسالة[3].

فالرسل الكرام عليهم السلام قد أدوا الأمانة على الوجه الذي يرضاه الله سبحانه وتعالى، وكانت الرسل تنصح أقوامها وتردد على ألسنتها أو حالها ينطق بذلك، لقوله تعالى:(قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[4]، يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله– :" أي: ليست كما تزعمون، بل جئتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء، فهو رب كل شيء ومليكه (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)[5] وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل البلاغة والنصح والأمانة.[6]

([1])الأنعام (٣٣)، وانظر : لباب النقول للسيوطى ص (١٠٠).

([2])الشعراء (١٠٧)،(١٢٥) ،(١٤٣)،(١٦٢)،(١٧٨).

([3]) انظر: تفسير ابن كثير ٢٥١/٧.

([4]) الأعراف (٦٧).

([5])الأعراف (٦٨).

([6]) تفسير ابن كثير ٤٣٤/٣.

لذلك لا يستطيع الرسول أن يبدل أو يغير شيئًا مما أوحي إليه إنما يفعل ما يأمره الله به لقوله تعالى:(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)[1] ولو لم يتصف الأنبياء عليهم السلام بالأمانة، لما اختارهم الله أمناء على وحيه من أجل إسعاد البشرية في الدارين

خامسا: التبليغ:

وهو توصيل جميع ما أمروا بتبليغه إلى من أرسلوا إليهم، ولا يجوز لهم أن يكتموا منه شيئا لأن الكتمان يعني إخفاء بعض قواعد الشريعة، ويعني أيضا تقصيرهم في إظهار شهادتهم إذا كتموا ما أمروا بتبليغه، لقوله تعالى:(فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)[2]، أي: البين الظاهر الذي يصل إلى القلوب، ولا يبقى لأحد على الله حجة، فإذا بلغتهم الرسل أمر ربهم ونهيه، واحتجوا عليهم بالقدر، فليس للرسل من الأمر شيء، وإنما حسابهم على الله عز وجل[3].

لذلك يجب على الرسل عليهم السلام التبليغ، ولو كان في تبليغ أمر الله للناس إيذاء عظيم لهم أو شر أكيد يلحق بهم من أعدائهم، لقوله تعالى في شأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[4]. وقال تبارك وتعالى في شأن هود عليه السلام مع قومه: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)[5]. كما قال تعالى في شأن صالح عليه السلام مع قومه: (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي

([1]) يونس (١٥).

([2]) النحل (٣٥).

([3])تفسير ابن كثير ٤٤٠/١.

([4]) المائدة (٦٨).

([5]) الأعراف (٦٨).

وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)[1] وما قاله تعالى في شأن شعيب عليه السلام مع قومه:(وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ)[2].

والرسول مبلغ عن الله تعالى، وأنه أمره بتبليغ جميع أحكامه، وشرائعه للناس. لقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)[3].

وتبليغ الأنبياء ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولا.: الدعوة إلى عبادة الله وحده ، وهي الوظيفة الرئيسة للأنبياء والرسل عليهم السلام لقوله تعالى:(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ)[4]

ثانيا: تبليغ شريعة الله إلى البشر، فقال تعالى في الأنبياء والرسل:(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا)[5].

ثالثا: التبشير والإنذار، لقوله تعالى:(رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا).[6]**ومما يدل على أنهم لم يكتموا شيئا وبلغوا ما أنزل الله الله عليهم:**

أولا: أن الله شهد لهم بأنهم بلغوا، وذلك كثير في القرآن الكريم[1]، ومنه قوله تعالى:(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا)[2]،وقوله تعالى:(لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا)[3].

---

(1) الأعراف (٧٩).
(2) الأعراف (٩٣).
(3) المائدة (٦٧).
(4) النحل (٣٦).
(5) الأحزاب (٣٩).
(6) النساء (١٦٥).

ثانيا: إن الله تعالى ذم أهل الكتاب الذين يكتمون شيئا من التوراة والإنجيل، فلم يرض منهم هذا الكتمان، وهم أشخاص عاديون، فكيف يرضاه ممن اختارهم لحمل رسالته؟! بدليل قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[٤].

ثالثا: إن الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ولم يكتم شيئا مما أمره الله بتبليغه[٥]، لذا قال تبارك وتعالى: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) [٦].

ولو كان لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتم شيئا مما أمره الله بتبليغه، لكتم ألوان العتاب التي وجهت إليه من قبل الله في القرآن الكريم، وذلك في مثل قصة انشغاله عن ابن أم مكتوم الأعمى بدعوة كبار المشركين إلى الإسلام، ومعاتبة الله له في ذلك بقوله تعالى:(عَبَسَ وَتَوَلَّى* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى)[٧]. وكذلك قصة زينب رضي الله عنها مطلقة، زيد بن حارثة الذي كان قد تبناه قبل أن ينزل عليه تحريم التبني: (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا)[٨].

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن حسن حنبكة ص ٣٩٠.

(٢)الأحزاب (٣٩).

(٣) الجن (٢٨).

(٤) البقرة (١٧٣).

(٥) العقيدة الإسلامية ص (٣٩٠).

(٦) التكوير (٢٤).

(٧)عبس (١-٢).

(٨) الأحزاب (٣٧).

وكذلك قوله تعالى في أسرى بدر حيث أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عدم قتلهم:(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[١].

فالرسل عليهم السلام بلغوا ما أمرهم الله، ولم يكتموا شيئا من ذلك، لأن الغرض من التبليغ، أن يقطع الله الحجة على الناس، فلا يبقى لأحد عذر يوم القيامة، لقوله تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)[٢]. وقد بعث الله خاتم المرسلين سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين نذيرا، أرسله على فترة من الرسل ليقطع على أهل الكتاب معاذيرهم فيقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، وقد ذكر تبارك وتعالى ذلك في كتابه العزيز فقال وهو أصدق القائلين:(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).[٣]

فإذا وجب الاعتقاد في حق الرسل أنهم بلغوا جميع ما أمرهم الله بتبليغه، وجب أن نعتقد أنهم لم يكتموا شيئا مما أمروا بتبليغه. لأن الكتمان ضد التبليغ، فإذا وجبت عليهم صفة التبليغ امتنعت عنهم صفة الكتمان، كما أن الأمانة وضدها الخيانة، والصدق وضده الكذب، والفطانة وضدها الغفلة، فهذه الأضداد مستحيلة في حقهم جميعا، أي غير قابلة الثبوت.[٤]

سادسا: السلامة من العيوب المنفرة:

إن صفة السلامة من العيوب المنفرة تعد من خصائص الأنبياء عليهم السلام، فالأنبياء لا يتصفون بصفة فيها عيب خلقي ليبتعد الناس عنهم، فلا تتعرض أبدانهم الأمراض شائنة ولا لأعراض تنفر منها طبائع الناس. ويمكن أن تعد الحكمة من ذلك، أنه لما كانت مهمة الرسل عليهم السلام تستدعي مخالطة الناس لدعوتهم وإرشادهم، ولما كانت طبائع الناس

([١])الأنفال (٦٧).

([٢])الإسراء (١٥).

([٣]) المائدة (١٩).

([٤]) العقيدة الإسلامية وأسسها ص (٣٩١).

تنفر من بعض الأمراض المشينة، كان من حكمة الله أن يحفظ رسله من كل هذه الأعراض المنفرة التي يشمئز الناس منها، ولو تعرض الرسل للأمراض المنفرة لأدى هذا الأمر إلى الابتعاد عنهم، وهذا فيه منافاة لمهمة الرسالة التي تستدعي جلب قلوب أهل الكفر إلى الحق والطاعة بأفضل السبل وأحكمها، وتستدعي تألف قلوب المسلمين للإقبال على رسولهم ومحبته والشوق إلى مجالسته.[1]

والأنبياء وإن كانوا من البشر، فإنه تصيبهم العوارض التي تصيب البشر، إلا أن الله عز وجل صانهم من العيوب المنفرة، وهذا لا يؤدي إلى نقص مراتبهم ولكن فيه ابتلاء من الله عز وجل، وقد أصيب أيوب عليه السلام بمرض ابتلى به، وأصيب بضر في بدنه، لقوله تعالى:(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ)[2]، فإن كثيرًا من القصص وردت فى مرضه وهى من الإسرائيليات ولا يصح تصديقها أو الاعتقاد بها، ولأنها تتنافى مع صفات الأنبياء والقرآن الكريم لم يذكر لنا شيئا من هذا، ولم يذكره الرسول عليه السلام، وإنما الذي ذكره القرآن أنه قد أصابه الضر في بدنه فدعا ربه بعد أن اشتد به الكرب والضر– فكشفه الله عنه وشفاه، فإن الضر الذي أصابه كان في جسمه وأهله، وهذا النوع من الضر يلحق البشر ويلحق الأنبياء، فإن المرض يعتري الأنبياء كما يعتريهم الموت، وليس في ذلك شيء ينقص من قدرهم أو يزري بمقامهم.[3]

سابعًا : البشرية

الذين يستعظمون ويستبعدون اختيار الله بعض البشر لتحمّل الرسالة لا يقدرون الإنسان قدره، فالإنسان مؤهل لتحمّل الأمانة العظمى، أمانة الله التي أشفقت السماوات والأرض

([1]) المرجع السابق ص(٣٩١).

([2]) الأنبياء (٨٣-٨٤).

([3]) النبوة والأنبياء للصابونى ص (٥٠).

والجبال من حملها،(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)[1]

والذين استعظموا اختيار الله البشر رسلاً نظروا إلى المظهر الخارجي للإنسان، نظروا إليه على أنه جسد يأكل ويشرب وينام، ويمشي في الأرض لتلبية حاجاته (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا)[2]، ولم ينظروا إلى جوهر الإنسان، وهو تلك الروح التي هي نفخة من روح الله (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)[3]،وبهذه الروح تميز الإنسان، وصار إنساناً، واستخلف في الأرض، وقد أودعه الله الاستعداد للاتصال به عن طريق تلك النفخة العلوية التي ميزته، فلا عجب أن يختار الله واحداً من هذا الجنس، صاحب استعداد للتلقي، فيوحي إليه ما يهدي به إخوانه إلى الطريق كلّما غم عليهم الطريق، وما يقدم به إليهم العون كلّما كانوا بحاجة إلى العون.

فمن هنا اقتضت حكمة الله عز وجل أن يبعث رسلا من البشر، فيهم جميع مواصفات البشر ليكونوا في أقوالهم وأفعالهم ودعوتهم حجة على الناس، وليكونوا هنا أدعى للقدوة بالرسل لأنه داخل في استطاعة البشر وفي مقدورهم. فالأنبياء عليهم السلام بشر، فيجوز في حقهم الأعراض البشرية التي لا تتنافى في أصل مهمتهم كالأمراض غير المنفرة والأكل والشرب والنكاح، لذا يقول تعالى:(وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ)[4].

ثامنا : اختار الله رسله من صنف الذكورة :

وبالنظر لواقع حال الرسل نرى أن الله سبحانه لم يختر رسله من النساء ، وفي ذلك حكمة عالية،لأن الاصطفاء بالرسالة من أصناف البشر لا بد أن يلاحظ فيه الأجدر بحمل

([1])الأحزاب (٧٢).

([2]) الفرقان (٧).

([3]) الحجر (٢٩).

([4]) الأنبياء (٨).

الرسالة ، وصنف الرجال أجدر بحمل الرسالة من صنف النساء الأمور تقتضيها ظروف الدعوة في صفوف الرجال ولأن الرسول هو الآمر الناهي والحاكم والقاضي في أمته ، وهو القوام عليهم في أمورهم كلها ، ولو كانت أنثي لم يتم ذلك بوجه كامل، ولاستنكف الأقوام عن الاتباع والطاعة ، واتهموا حكمة الله . المرأة يطرأ عليها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والمهمات، كالحيض والحمل والولادة والنفاس،وتصاحب ذلك اضطرابات نفسية وآلام وأوجاع، عدا ما يتطلبه الوليد من عناية ، وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها .

وكل ذلك مما يجعل كمال الحكمة .. الربانية أن يكون الاصطفاء بالرسالة من خصائص صنف الرجال من البشر. قال الله تعالى:(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [1].

ولكن ذهب بعض العلماء[2]إلى أنّ الله أنعم على بعض النساء بالنبوة ، فمن هؤلاء أبو الحسن الأشعري والقرطبي وابن حزم [3] .

والذين يقولون بنبوة النساء متفقون على نبوة مريم ، ومنهم من ينسب النبوة إلى غيرها ، ويعدّون من النساء النبيات : حواء وسارة وأمّ موسى وهاجر وآسية .

وهؤلاء عندما اعترض عليهم بالآية التي تحصر الرسالة في الرجال دون النساء ، قالوا: نحن لا نخالف في ذلك ، فالرسالة للرجال ، أمّا النبوة فلا يشملها النصُّ القرآني، وليس في نبوة النساء تلك المحذورات التي عددتموها فيما لو كان من النساء رسول ، لأنَّ النبوة قد تكون قاصرة على صاحبها ، يعمل بها ، ولا يحتاج إلى أن يبلغها إلى الآخرين .

أدلتهم :

([1])الأنبياء (٧).

(٢)يزعم اليهود أن مريم أخت موسى وهارون كانت نبيّة (لوامع الأنوار البهية : ٢٦٦/٦) .

(٣)انظر فتح الباري : ٤٤٧/٦ – ٤٤٨ ، ٤٧٣/٦ ، وانظر لوامع الأنوار البهية : ٢٦٦/٢ .

وحجّة هؤلاء أن القرآن أخبر بأن الله تعالى أوحى إلى بعض النساء ، فمن ذلك أنه أوحى إلى أمّ موسى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)[١]، وأرسل جبريل إلى مريم فخاطبها (فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)[٢] وخاطبتها الملائكة قائلة :(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)[٣] .

فأبو الحسن الأشعري يرى أنّ كلَّ من جاءه الملك عن الله – تعالى – بحكم من أمر أو نهي أو بإعلام فهو نبي [٤](٣) ، وقد تحقق في أمّ موسى ومريم شيء من هذا ، وفي غيرهما أيضاً ، فقد تحقق في حواء وسارة وهاجر وآسية بنصّ القرآن .

واستدلوا أيضاً باصطفاء الله لمريم على العالمين (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)[٥] وبقوله صلى الله عليه وسلم : (كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران ، وآسية امرأة فرعون)[٦] .قالوا : الذي يبلغ مرتبة الكمال هم الأنبياء .

الردّ عليهم :

وهذا الذي ذكروه لا ينهض لإثبات نبوة النساء ، والرد عليهم من وجوه :

---

(١) القصص (٧).

(٢) مريم (١٧-١٩).

(٣) آل عمران (٤٢).

(٤)يزعم اليهود أن مريم أخت موسى وهارون كانت نبيّة (لوامع الأنوار البهية : ٦/٢٦٦) .

(٢) انظر فتح الباري : ٦/٤٤٧.

(٥) آل عمران (٤٢).

(٦) صحيح البخاري : ٣٧٦٩ . وصحيح مسلم : ٢٤٣١ .

الأول: أنّا لا نسلم لهم أن النبيَّ غير مأمور بالتبليغ والتوجيه ومخالطة الناس، والذي اخترناه أن لا فرق بين النبيّ والرسول في هذا، وأنَّ الفرق واقع في كون النبي مرسل بتشريع رسول سابق.

وإذا كان الأمر كذلك فالمحذورات التي قيلت في إرسال رسول من النساء قائمة في بعث نبي من النساء ، وهي محذورات كثيرة تجعل المرأة لا تستطيع القيام بحقّ النبوة.

الثاني: قد يكون وحي الله إلى هؤلاء النسوة أم موسى وآسية .. إنّما وقع مناماً ، فقد علمنا أنّ من الوحي ما يكون مناماً، وهذا يقع لغير الأنبياء.

الثالث: لا نسلم لهم قولهم : إن كل من خاطبته الملائكة فهو نبي، ففي الحديث أن الله أرسل ملكاً لرجل يزور أخاً له في الله في قرية أخرى ، فسأله عن سبب زيارته له ، فلمّا أخبره أنه يحبّه في الله، أعلمه أنَّ الله قد بعثه إليه ليخبره أنه يحبّه، وقصة الأقرع والأبرص والأعمى معروفة ، وقد جاء جبريل يعلم الصحابة أمر دينهم بسؤال الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة يشاهدونه ويسمعونه[١].

الرابع: أنّ الرسول – صلى الله عليه وسلم – توقف في نبوة ذي القرنين مع إخبار القرآن بأنّ الله أوحى إليه:(قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا)[٢].

الخامس: لا حجّة لهم في النصوص الدالة على اصطفاء الله لمريم ، فالله قد صرح بأنّه اصطفى غير الأنبياء :(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)[٣]، واصطفى آل إبراهيم وآل

---

(١)ارجع في هذه النصوص ، والنصوص المشابهة لها إلى الجزء الثاني من سلسلة مجموعة عقيدة المسلم للأستاذ .د . عمر الأشقر : (عالم الملائكة الأبرار) .

(٢) الكهف (٨٦).

(٣) فاطر (٣٢).

عمران على العالمين ، ومن آلهما من ليس بنبيّ جزماً ،(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) [١].

السادس: لا يلزم من لفظ الكمال الوارد في الحديث الذي احتجوا به النبوة، لأنّه يطلق لتمام الشيء، وتناهيه في بابه، فالمراد بلوغ النساء الكاملات النهاية في جميع الفضائل التي للنساء، وعلى ذلك فالكمال هنا غير كمال الأنبياء .

السابع: ورد في بعض الأحاديث النصّ على أن خديجة من الكاملات [٢] وهذا يبين أن الكمال هنا ليس كمال النبوة .

الثامن: وصف مريم بأنها صديقة في مقام الثناء عليها والإخبار بفضلها ، قال تعالى:(مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)[٣] فلو كان هناك وصفاً أعلى من ذلك لوصفها به ، ولم يأت في نصّ قرآني ولا في حديث نبويّ صحيح إخبار بنبوة واحدة من النساء .

وقد نقل القاضي عياض عن جمهور الفقهاء أنّ مريم ليست بنبيّة ، وذكر النووي في الأذكار عن إمام الحرمين أنّه نقل الإجماع على أنّ مريم ليست نبيّة ، ونسبه في شرح المهذب لجماعة ، وجاء عن الحسن البصري : ليس في النساء نبيّة ولا في الجنّ [٤].

---

(١) آل عمران : ٣٣ .

(٢) الحديث أخرجه ابن مردويه ، انظر البداية والنهاية : (٦١/٢) .

(٣) المائدة (٧٥).

(٤) فتح الباري : ٤٧١/٦ ، ٤٧٣

طريق إعلام الله أنبياءه ورسله

سمي الله الطريق الذي يعلم الله به أنبياءَه ورسله وحياً، قال تعالى:(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا)[١].

والوحي في اللغة: الإعلام الخفّي السريع مهما اختلفت أسبابه[٢]، فقد يكون بالإلهام كوحي الله إلى الحواريين:(وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ)[٣] وكوحي الله لأم موسى:(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)[٤] ويأتي بمعنى الإيماء والإشارة، فقد سمّى القرآن إشارة زكريا إلى قومه وحياً:(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)[٥].

وأكثر ما وردت كلمة (وحي) في القرآن الكريم بمعنى إخبار وإعلام الله من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، بطريقة سرّية خفيّة، غير معتادة للبشر.

للوحي الذي يعلم الله به رسله وأنبياءَه مقامات، قال الله تعالى مبيِّناً هذه المقامات: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)[٦] .

---

(١) النساء (١٦٣).

(٢) انظر: فتح الباري : ٩/١ ، والمصباح المنير : ٦٥١ ، ٦٥٢ .

(٣) المائدة (١١١).

(٤) القصص (٧).

(٥) مريم (١١).

(٦) الشورى (٥١).

فالمقامات ثلاثة:

الأولى: الإلقاء في روع النبي الموحى إليه، بحيث لا يمتري النبي في أنّ هذا الذي ألقي في قلبه من الله تعالى، كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال:"إنّ روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله،وأجملوا في الطلب"[١]. وذهب ابن الجوزي إلى أن المراد بالوحي في قوله: (إلاَّ وحياً) الوحي في المنام[٢].

رؤية الأنبياء:

وهذا الذي فسّر به ابن الجوزي المقام الأول داخل في الوحي بلا شّك، فإنّ رؤيا الأنبياء حقٌ، ولذلك فإنَّ خليل الرحمن إبراهيم بادر إلى ذبح ولده عندما رأى في المنام أنّه يذبحه، وعدّ هذه الرؤيا أمراً إلهياً، قال تعالى في إبراهيم وابنه إسماعيل: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ *وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ). [٣]

وفي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت: " أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في المنام، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح " [٤].

المقام الثاني: تكليم الله لرسله من وراء حجاب:

([١])حديث صحيح بشواهده أخرجه أبو نعيم في ((الحلية)) ٢٦/١٠ ، ٢٧ ، من حديث أبي أمامة ، وأورده البغوي في ((شرح السنة)) ٣٠٣/١٤-٣٠٤ (٤١١١-٤١١٣) من عدة طرق عن ابن مسعود مرفوعاً ، وانظر ((المستدرك)) ٥/٢ (٢١٣٦) ، و ((كشف الخفاء)) ٢٨٦/١ (٧٠٧) ط. مؤسسة الرسالة .

([٢]) زاد المسير : (٢٩٧/٧) .

([٣]) الصافات (١٠١-١٠٥).

([٤]) صحيح البخاري ، وصحيح مسلم : (١٦٠) ، واللفظ للبخاري .

وذلك كما كلَّم الله تعالى موسى عليه السلام، وذكر الله ذلك في أكثر من موضع في كتابه:(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)[1]، وقال تعالى :(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) [2]، وممن كلّمه الله آدم عليه السلام (قال يا آدم أَنبِئْهُم بأسمائهم فلمَّا أَنبَأَهُمْ بأسمائهم.) [3]، وكلّم الله عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم عندما عرج به إلى السماء[4].

المقام الثالث: الوحي إلى الرسول بواسطة الملك:

وهذا هو الذي يفقه من قوله تعالى:(أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)[5]وهذا الرسول هو جبريل، وقد يكون غيره وذلك في أحوال قليلة (٧).

صفة مجيء الملك إلى الرسول:

بالتأمل في النصوص في هذا الموضوع نجد أنّ للملك ثلاثة أحوال:

الأول: أن يراه الرسول صلى الله عليه وسلم على صورته التي خلقه الله عليها، ولم يحدث هذا لرسولنا صلى الله عليه وسلم إلا مرتين.

الثاني: أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، فيذهب عنه وقد وعى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ما قال.

---

(1) الأعراف(١٤٣)

(2) طه (١١-١٤).

(3) البقرة (٣٣)

(٤) انظر: عالم الملائكة أ.د. عمر الأشقر : ص ٤٠ .

(5) الشورى (٥١).

الثالث: أن يتمثل له الملك رجلاً فيكلّمه ويخاطبه ويعي عنه قوله، وهذه أخف الأحوال على الرسول صلى الله عليه وسلم وقد حدث هذا من جبريل في اللقاء الأول عندما فجأه في غار حراء.[١]

بشائر الوحي:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل معاينته للملك، يرى ضوءاً، ويسمع صوتاً، ولكنه لا يرى الملك الذي يحدث الضوء، ولا يرى مخاطبه والهاتف به، روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: " مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة، يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئاً، وثمان سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشراً "[٢].

قال النووي:" يسمع الصوت ويرى الضوء " قال القاضي: " أي: صوت الهاتف من الملائكة، ويرى الضوء، أي: نور الملائكة، ونور آيات الله، حتى رأى الملك بعينيه، وشافهه بوحي الله "[٣]

أثر الملك في الرسول:

من المزاعم التي يدعيها المكذبون بالرسل أن ما كان يصيب الرسول صلى الله عليه وسلم إنّما هو نوع من الصرع، أو اتصال من الشياطين به، وكذبوا في دعواهم، فالأمران مختلفان، فالذي يصيبه الصرع يصفرُّ لونه، ويخفُّ وزنه، ويفقد اتزانه، وكذلك الذي يصيبه الشيطان، وقد يتكلم الشيطان على لسانه، ويخاطب الحاضرين، وعندما يفيق من غيبوبته لا يدري ولا يذكر شيئاً ممّا خاطب به الشيطان الحاضرين على لسانه، أمّا الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر: عالم الملائكة أ.د. عمر الأشقر : ص ٤٠ .

(٢) انظر النووي على مسلم : (١٠٤/١٥) . وهذا الذي ذكره ابن عباس خلاف المحفوظ في مقدار المدة التي كان يوحى إليه فيها بمكة ، فالمحفوظ أنه أوحي إليه في سنّ الأربعين وهاجر وعمره ثلاث وخمسون سنة ، فتكون المدة ثلاث عشرة سنة .

(٣) النووي على مسلم : (١٠٤/١٥) .

فإن اتصال الملك به نماء في جسده، وإشراق في وجهه، ثمّ إن الجالسين لا يسمعون كلاماً، إنما يسمعون دوياً كدويّ النحل عند وجهه[١]، ويقوم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وقد وعى كلّ ما أخبر به الملك، فيكون هو الذي يخبر أصحابه بما أوحي إليه.

فقد أخبرتنا عائشة – رضي الله عنها وعن أبيها – أنها رأت الرسول صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً [٢].

وفي رواية عنها:" إن كان لينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغداة الباردة، ثم تفيض جبهته عرقاً" [٣].

وأخبرتنا أنّ ناقته عندما كان يوحى إليه وهو فوقها يضرب حزامها وتكاد تبرك به من ثقله فوقها[٤] ويذكر أحد الصحابة أنّ فخذه كانت تحت فخذ النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل إليه، فكادت فخذ النبي صلى الله عليه وسلم حين الإنزال إليه ترض فخذ الصحابي [٥].

---

(١) رواه أحمد في ((المسند)) ٣٥٠/١ (٢٢٣) ، والترمذي (٣١٧٣) ، والنسائي في ((السنن الكبرى)) ١٦٩/٢-١٧٠ (١٤٤٣) من حديث عمر بن الخطاب –رضى الله عنه–.

(٢)صحيح البخاري .

(٣)صحيح مسلم : ٢٣٣٣ .

(٤)أشار إلى هذا البيهقي في الدلائل عن عائشة (انظر فتح الباري: ٢١/١) .

(٥)أخرجه أحمد في ((المسند)) ٤٨٠/٣٥ (٢١٦٠١) ، والبخاري (٢٨٣٢) من حديث زيد بن ثابت .

وجوب الإيمان بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم

إن من الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الإيمان بجميع ما جاء به، ومما جاء به صلى الله عليه وسلم الإخبار بعموم رسالته للإنس والجن بجميع أجناسهم وأشكالهم وألوانهم ومللهم ولغاتهم. لذا فإنه يجب أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلى جميع الثقلين الإنس والجن وأنه أوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته.

وعموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وعالميتها هي إحدى الخصائص التي انفرد بها صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء قبله، إذ كان النبي إنما بعث إلى قومه خاصة ثم يبقى غيرهم محتاجا إلى من يبلغهم أمر الله عز وجل، أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد بعثه الله للناس كافة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فهو المبعوث رحمة للعالمين، فعمت رسالته جميع المكلفين إنسهم وجنهم، كما صحبت كذلك الزمان في مسيرته، فإذا انتهى جيل من الناس فإن الجيل الذي يليه مخاطب ومكلف بها.

والإيمان بعموم الرسالة وعالميتها هو الذي يدين به كل مسلم يؤمن بالله ورسوله، فهذا ما جاءت به آيات الكتاب الكريم ونصوص السنة الثابتة، فهو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة والتي أجمعت عليها الأمة[1].

الأدلة من القرآن على عموم رسالته

وردت آيات كثيرة في كتاب الله العزيز تثبت عموم دعوته وعالمية رسالته صلى الله عليه وسلم ومن سمة هذه الآيات أنها اتصفت بتنوع العبارة مع اتحاد في المضمون الذي هو الدلالة على عموم الرسالة وعالميتها.

وسوف نعرض لهذه الآيات بحسب اتحادها في السياق.

أ- الآيات التي ورد فيها لفظ "الناس" منها:

قوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعا)[1].

---

(١) انظر: حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة لمحمد التيمى ٨٤/١.

وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاس) [٢].

وقوله تعالى: (وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً) [٣].

وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً) [٤].

وقوله تعالى: (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِم) [٥].

وقوله تعالى: (هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ) [٦].

وقوله تعالى: (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) [٧].

والشاهد من هذه الآيات أنها بينت شمول رسالة محمد صلى الله عليه وسلم للناس[٨] جميعًا.

قال صاحب اللسان: "الناس قد يكون من الإنس ومن الجن"[٩].

فلفظ الناس يطلق على الجن والإنس كما في قوله تعالى: (الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) [١٠] فسمى الله الجن في هذا الموضع ناسا كما سماهم في موضع آخر

---

(١) الآية (١٥٨) من سورة الأعراف.

(٢) الآية (٢٨) من سورة سبأ.

(٣)الآية (٧٩) من سورة النساء.

(٤) الآية (١٧٤) من سورة النساء.

(٥) الآية (٢) من سورة يونس.

(٦) الآية (٥٢) من سورة إبراهيم.

(٧)الآية (١) من سورة إبراهيم.

(٨)لفظ "الناس" فيه وجهان: أحدهما: أن يكون جمعا لا واحد له من لفظه وإنما واحده "إنسان" وواحدته "إنسانة"، والوجه الآخر: أن يكون أصله "أناس" أسقطت الهمزة منها لكثرة الكلام بها تخفيفا، ثم أدخلت الألف واللام المعرفتان، فأدغمت اللام التي دخلت مع الألف فيها للتعريف في النون. انظر: تفسير الطبري (١/ ١١٦).

(٩) لسان العرب (٦/ ٢٤٤) مادة نوس.

(١٠)الآيتان (٥- ٦) من سورة الناس.

رجالا، فقال: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ) [١] فجعل الجن رجالا وكذلك جعل منهم ناسا[٢]. وهناك رأي آخر يقول إن لفظ الناس دخل فيه الجن تغليبا[٣].

والذي أراه أن الآيات تفسر بالمعنى الشامل للإنس والجن إذ لا مخصص للعموم هنا.

وكنموذج لتفسير ما أوردته من آيات في هذا الشأن أذكر ما قاله بعض علماء التفسير في بيان قوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً)، قال أبو جعفر الطبري في تفسيرها: "قل يا محمد للناس كلهم (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرسل مرسلا إلى بعض الناس دون بعض، فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، لكنها إلى جميعكم"[٤].

وقال ابن كثير: يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمه صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة"[٥].

ب- الآيات التي ورد فيها لفظ "العالمين": ومنها

- قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [٦].
- وقوله تعالى: (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ) [٧].
- وقوله تعالى: (وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) [١].

---

(١)الآية (٦) من سورة الجن.

(٢) تفسيرالطبرى (٣٠/٣٥٦).

(٣)تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٥).

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٨٦).

(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥٤- ٢٥٥).

(٦) الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء.

(٧) الآية (٩٠) من سورة الأنعام.

– وقوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) [٢].

– وقوله تعالى: (وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) [٣].

– وقوله تعالى: (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، إن هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) [٤]. والمراد بالعالمين هنا هم الإنس والجن إذ هم المكلفون، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "العالمون الجن والإنس، دليله قوله تعالى: (لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً) ولم يكن نذيرا للبهائم"[٥].

ج– الآيات التي ورد فيها لفظتا "كافة" و"جميعا" وهي:

قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) [٦].

وقوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) [٧]. وهناك ثلاث عبارات هي: "الناس" و"كافة" و"جميعا" دلت جميعها على العموم.

د– الآية التي ورد فيها لفظ "ومن بلغ":

قال تعالى: (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) [٨].

فالشاهد من الآية هو قوله تعالى: (لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) فلفظ (من) في قوله (وَمَنْ بَلَغَ) من صيغ العموم، فالآية نص في عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم. ومعنى الآية أن الله يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لقومه إن الله أوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به يا أهل مكة، أو يا معشر العرب ومن بلغه هذا القرآن سواء كان عربيا أو عجميا وسواء كان

---

(١) الآية (١٠٤) من سورة يوسف.

(٢) الآية (١) من سورة الفرقان.

(٣) الآية (٥٢) من سورة القلم

(٤)الآيتان (٢٦، ٢٧) من سورة التكوير.

(٥) تفسير القرطبي (١/ ١٣٨).

(٦)الآية (٢٨) من سورة سبأ.

(٧) الآية (٥٨) من سورة الأعراف.

(٨) الآية (١٩) من سورة الأنعام.

موجودا الآن، أم سيأتي بعد إلى أن تقوم الساعة وهذا هو الذى ذكره أهل التفسير عند هذه الآية[1]

هـ- الآيات التي ورد فيها خطاب الجن ومنها:

- قوله تعالى: (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً) [2] إلى إلى آخر الآيات التي نزلت في شأن دعوة الجن إلى الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وسميت هذه السورة بسورة الجن.

- وقوله تعالى: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ، يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) [3] والآيات نزلت في جن نصيبين[4] عندما سمعوا القرآن، فآمن به من آمن منهم ثم ولوا إلى قومهم منذرين، ثم أتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الإسلام بشعب معروف بمكة، والأحاديث بذلك كثيرة مشهورة في الصحيح والسنن والمسند وكتب التفسير والفقه وغيرها[5].

- وكذلك فإن سورة الرحمن هي خطاب للثقلين الإنس والجن معًا.

و- الآيات التي وردت في دعوة أهل الكتاب:

ومنها: (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) [6].

---

(1) انظر : تفسير الطبري (٧/ ١٦٢، ١٦٣)، وتفسير ابن كثير (٢/ ١٢٦).

(2) الآيتان (١، ٢) من سورة الجن.

(3) الآيات (٢٩- ٣٠- ٣١) من سورة الأحقاف.

(4) مدينة تقع في تركيا بالقرب من الحدود السورية. أطلس العالم (ص ٥٢).

(5) انظر: كتاب النبوات لابن تيمية (ص ٣٩٦).

(6) الآية (٢٠) من سورة آل عمران

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [1].

الأدلة من السنة على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم

الأدلة على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وعالميتها كثيرة جدا في السنة النبوية سواء من الناحية القولية أو الناحية العملية وسنعرض هنا لكلتا الناحيتين بإذن الله.

أ -السنة القولية:

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة" [2].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون"[3].

ب- السنة العملية:

إن المتأمل في سيرته ودعوته صلى الله عليه وسلم يعلم حرصه صلى الله عليه وسلم على نشر الرسالة وإبلاغها لجميع المكلفين، فقد دعا صلى الله عليه وسلم الإنس على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، سواء كانوا أهل كتاب أم ليسوا بأهل كتاب، كما دعا الجن كذلك فآمن له من آمن منهم وبايعوه على الإسلام.

([1])الآية (١٩) من سورة المائدة

([2]) أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب التيمم واللفظ له. انظر فتح الباري (١/ ٤٣٥- ٤٣٦) ح ٣٣٥، وكذلك ٤٣٨- ٣١٢٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد (٢/ ٦٣).

([3]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد (٢/ ٦٤).

ولقد صدع النبي صلى الله عليه وسلم بعالمية الرسالة وعمومها في أوائل دعوته عندما انتقل من المرحلة السرية في الدعوة إلى المرحلة الجهرية حيث قال صلى الله عليه وسلم بعد أن حمد الله: "إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها للجنة أبدا أو النار أبدا"[1].

وإن المتأمل للآيات القرآنية التي نصت على عموم رسالته وعالميتها يجد أن جلها كان مكي النزول، وهذا يؤكد أن عالمية الرسالة مقررة منذ بداية الوحى. ومن المعلوم أن طريقة الدعوة كانت تتبع أسلوب التدرج في التبليغ وهذا التدرج لم يكن ينافي شمول الدعوة لكل المكلفين، لأن المرحلية كانت ضرورية لدعوته صلى الله عليه وسلم، ولقد دلت السيرة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم اتبع أسلوب التدرج في إبلاغ الرسالة، فأول ما بدأ به هو الدعوة السرية لهذا الدين فآمن له من آمن.

ثم انتقل إلى الدعوة الجهرية ونهج فيها كذلك أسلوب التدرج فبدأ بأهل مكة عندما نزل عليه قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)[2]فدعاهم صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام.

ثم بعد ذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس في مجامعهم وأسواقهم ويبلغهم دعوة الله.

ثم ذهب إلى الطائف ودعا أهلها إلى الإسلام ولكنهم لم يجيبوه لذلك، ثم عاد إلى مكة وأخذ يعرض دعوته على القبائل في الموسم إلى أن التقى بالخزرج وهم من أهل المدينة وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وأسلم النجاشي من قبلهم وكان على النصرانية.

ومن هنا كانت بداية المرحلة الجديدة في الدعوة فبعد تمكن الإسلام بالمدينة، هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إليها فاتسع بذلك نطاق الدعوة حتى شمل أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بالمدينة حينئذ، كما تنوعت كذلك أساليب الدعوة إلى هذا الدين فشرع الجهاد في

([1]) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ٦١).

([2]) الآية (٢١٤) من سورة الشعراء.

سبيل الله واتسعت رقعة الدعوة فشملت قبائل العرب ومن كان في جزيرة العرب من أهل الكتاب كيهود المدينة وخيبر ونصارى نجران واليمن وغيرهم، واستمر التدرج إلى أن كان عام الحديبية ومهادنة قريش فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت إلى جميع الطوائف يدعوهم إلى الإسلام.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى(١).

ويمكن ذكر ثلاثا من هذه الرسائل:

١- رسالته صلى الله عليه وسلم إلى كسرى عظيم فارس:

"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلام على من أتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فاسلم تسلم، فإن أبيت، فإن إثم المجوس عليك "(٢).

٢- **رسالته صلى الله عليه وسلم إلى قيصر ملك الروم:**"بسم الله الرحمن الرحيم إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من أتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعوة الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك أثم الأريسيين "(٣).

---

(١)أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير: باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم الى الله عز وجل (٥/ ١٦٦).

(٢) انظر: تاريخ الطبري للأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ٢/ ٦٥٥. وانظر فقه السيرة النبوية ص٢٥٤. د. محمد سعيد رمضان. والحديث أخرجه البخاري ١٩٧٥، برقم (٤٥٥٣)، كتاب تفسير القرآن، باب {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا تعبد إلا الله سورة آل عمران الآية ٦٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٧٥، برقم ٤٥٥٣، كتاب تفسير القرآن، باب {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينهم ألا تعبد إلا الله} .

٣- كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الحبشة قال فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، واشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرا، و نفرا معه من المسلمين، فإذا جاؤك فأجرهم، ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله، فقد بلغت ونصحت، فاقبلوا تصحى، والسلام على من اتبع الهدى. (١)

فان كثيرًا من الملوك والأمراء من استجاب لدعوته صلى الله عليه وسلم فمنهم من اسلم مثل النجاشي الذي رد على النبي عليه السلام، فقال: "إن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني اشهد أن ما تقول حق، والسلام يا رسول الله"(٢). ومن لم يسلم، كان رده ردا جميلا رقيقا مما يدل على قوة الإسلام وعالميته، وسماحة دعوته قال المقوقس: إني نظرت في أمر هذا النبي، فوجدت أنه لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينتهي عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكذاب، وكذلك أسلم المنذر بن ساوى ملك البحرين، ورد معظم الملوك والرؤساء ردودا كلها تقدير واحترام إلى النبي عليه السلام، فإن دل هذا على شيء إنما دل على أن هذه الدعوة ليست مقصورة على جغرافية معينة، بل إنها عالمية غير محدودة، بزمان أو مكان، وغايتها دعوة الخلق كافة إلى عبادة الواحد الأحد، والإيمان بالرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام).

لذا يقول "جورج سارتون" الأستاذ بجامعة هارفارد الأمريكية: إن الإسلام من أصلح النظم الدينية، وأجملها ردا على حد تعبيره، وهو عندنا أصح تلك النظم وأجملها على الإطلاق،

---

(١)انظر: تاريخ الطبرى ٦٥٢/٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ٦٥٢/٢.

ولكن المسلمين اليوم كثيرو البعد عن حقيقة ما جاء به الإسلام. . . وأورد عبارة الإمام محمد عبده" الإسلام محجوب بالمسلمين[١].

والشاهد من هذا كله أن سيرته صلى الله عليه وسلم هي مثال تطبيقي عملي على شمول دعوته وعالمية رسالته التي من أجلها كرس النبي صلى الله عليه وسلم حياته لكي ينشرها ويبلغها للناس كافة، لتقوم بذلك الحجة على الناس أجمعين.

الشبهات التي أثيرت حول عموم رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعالميتها

تحدثنا في المطلب السابق عن عموم رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعالميتها، قد يختلط على بعض الناس فهم بعض الآيات المشعرة بعدم العموم والحكم بخصوصية الرسالة ومن هذه الآيات وكذلك الرد عليها:

١- قوله تعالى: (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا)[٢] "أي سهلنا القرآن (بلسانك) بأن أنزلناه على لغتك - بلسانك العربي المبين (لتبشر به المتقين) أي: الصائرين إلى التقوى بامتثال ما فيه من الأمر والنهي. [٣]

وهذا يشمل كل من يتبع الدعوة بغض النظر عن لونه وعرقه ولغته لأن القرآن نزل بلغة النبي الذي أمر بالتبليغ والإنذار للناس كافة وإننا نجد في بعض السور التي وردت فيها هذه الآيات، ما يصرح بعمومية الإنذار، مثل قول الله تعالى: (لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ)[٤].

---

(١) انظر: معالم النبوة ل دفوزى عبدالعظيم رسلان ص (٢٤).

(٢) مريم (٩٧).

(٣) روح البيان ٤١٥٤/٥

(٤) يس (٦).

٢- قوله تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ). [١]

٣- قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)[٢].

فهاتان الآيتان تشعران أن اختصاص نطاق رسالته صلى الله عليه وسلم بأم القرى ومن حولها.

فالمراد بأم القرى مكة وسميت بها لأن الأرض نصبت من تحتها فهي أصل الأرض كلها كالأم أصل النسل وما حولها من العرب، وهذا أي: التبين بالعرب لا ينافي عموم رسالته؛ لأن تخصيص الشيء بالذكر لا ينافي حكم ما عداه، وسميت أم القرى تشريفا لها وإجلالا لاشتمالها على البيت المعظم ومقام إبراهيم، ومكة هي سيدة الأرض.

٤- قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[٣].

أي بلغة قومه الذين هو منهم وبعث فيهم وكذلك معرفة قومه بلسانه وديانته، ليبين كل رسول لهم أي لقومه ما دعوا إليه وأمروا بقبوله فيفقهوه عنه بسهولة وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فإنهم أولى الناس بأن يدعوهم وأحق بأن ينذرهم، ولذلك أمر النبي عليه السلام بإنذار عشيرته أولا، بقوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ولقد بعث عليه السلام إلى الناس جميعا بل إلى التقلين.

فهذا هو الأصل في إرسال الرسل، والحكمة من ذلك، فقد صرف الرسول صلى الله عليه وسلم همه أولا في هداية قومه، وإنقاذهم من مهاوي الكفر والضلال، وإتباع الهوي، وهذه

([١]) الأنعام (٩٢).

([٢]) الشورى (٧).

([٣]) إبراهيم (٤).

حكمة إلاهية اقتضاها الخالق جل فى علاه حين أرسل رسله مبشرين منذرين، وبذلك يتسنى لهم هداية الآخرين، ولو كان الحال عكس ذلك ما آمن أحد، وإلى هذا يشير القرآن الكريم فيقول سبحانه وتعالى: (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ* فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ)[1]. فالآية مشعرة بلزوم إتحاد لغة الرسول صلى الله صلى الله عليه وسلم مع لغة من أرسل إليهم، حتى يلزم منه اختصاص دعوته صلى الله عليه وسلم يقومه فقط، إذ الآية تصرح بلزوم موافقة لغة الرسول مع لسان قومه، لا إتحاد لغته مع كل لسان أرسل إليهم كما هو أساس الشبهة.

وجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم

أوجب الله سبحانه وتعالى على الثقلين – الإنس والجن – الذين أدركتهم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز.

كما أكد الله وجوب الإيمان بأن جعله مقترنا بالإيمان به سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم والسنة منها:

أ-الأدلة من القرآن:

قال تعالى: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ، وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[2] ، وقال تعالى: (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[3].

([1])الشعراء (١٩٨-١٩٩)

([2]) الآيتان (٧-٨) من سورة الحديد.

([3]) الآية (٨) من سورة التغابن.

وقال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً)[١]، وقال تعالى:(لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)[٢]، وقال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[٣].

وقال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [٤]، وقال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)[٥].

وقال تعالى في حق من لم يؤمن: (وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً)[٦].

وبما تقدم من آيات يعلم وجوب الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وأهميته وأنه لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، كما لا تحصل نجاة ولا سعادة بدون الإيمان به لأنه هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك كان أول أركان الإسلام "شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله".

ب- الأدلة من السنة على وجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم:

---

(١) الآية (١٣٦) من سورة النساء.

(٢) الآية (٩) من سورة الفتح.

(٣)الآية (١٥٨) من سورة الأعراف.

(٤)الآية (١٣٢) من سورة آل عمران.

(٥)الآية (٢٤) من سورة التوبة.

(٦)الآية (١٣) من سورة الفتح.

وردت في السنة أحاديث كثيرة جدا تدل على وجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم على الجن والإنس الذين أدركتهم رسالته، سواء كانوا أهل كتاب، أم ليسوا بأهل كتاب، ويستوي في ذلك عربهم وعجمهم، وذكرهم وأنثاهم، فلا يسع أحدا من هؤلاء الخروج عن شريعته أو التعبد لله بغير ما جاء به. لأن الله لا يقبل من أحد عملا يخالف شرع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[1]

وسأورد ههنا بعضا من تلك الأحاديث الواردة في هذا الشأن:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله"[2].

٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله"[3].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع لي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"[4]

---

(١) الآية (٨٥) من سورة آل عمران.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (١/ ٣٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان: باب {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} ، انظر: فتح الباري (١/ ٧٥) ح ٢٥. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، انظر (١/ ٣٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه

٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث وفد عبد القيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: "أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس...." الحديث[١].

٥- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله فقال: "إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم[٢].

وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١/ ٩٣).

([١]) تقدم تخريجه.

([٢]) شرح النووي جـ١ ص ١٩٦ ، ص ١٩٨.

دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم

أيد الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالدلائل، والمعجزات الكثيرة الدالة على وجوب الإيمان به وصدق رسالته وهذه الدلائل والمعجزات فاقت الألف معجزة كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء[١] ومنها ما هو حسي ومنها ما هو معنوي، وكذلك هي متنوعة فمنها ما كان قبل مولده كبشارات الأنبياء به ومنها ما كان وقت ولادته كقصة الفيل والعجائب التي حدثت عام مولده الدالة على نبوته، ومنها ما كان عند مبعثه كالقرآن الكريم وانشقاق القمر ونبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وغير ذلك.

ومن تلك الدلائل ما استمر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم كالقرآن الكريم، وما أخبر به من المغيبات كعلامات الساعة، وما يحدث بعده. ولقد ألف عدد من العلماء مؤلفات في هذا الشأن جمعوا فيها تلك الدلائل والمعجزات[٢].

وإن من أعظم دعائم الإيمان معرفة المسلم لهذه الدلائل وأخذ العظة والعبرة منها وذلك بتدبر ما فيها من حكم وآيات دلت على صدق رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم. والمقام هنا لا يستوعب إيراد هذه الدلائل والمعجزات، ولكني سأشير إلى بعض هذه الدلائل إشارات سريعة على سبيل المثال

معجزة القرآن الكريم:

هو أعظم الآيات والبراهين والدلائل والمعجزات التي أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم، وليس من آية أبدع ولا أروع منه.

فهو المعجزة الخالدة التي أعطاها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم لتكون خالدة كخلود رسالته، ومشهودة لكل من أتى بعد زمانه ليعم الانتفاع بها ولتقوم بها الحجة على أهل كل

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٤٠).

(٢) ومن تلك المؤلفات: دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ودلائل النبوة لقوام السنة الأصبهاني، ودلائل النبوة للبيهقي، والخصائص الكبرى للسيوطي.

زمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولقد تعهد الله بحفظه وبقائه فقال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [1] فكان في هذا الحفظ دوامه وبقاؤه إلى قيام الساعة.ولقد ميز الله نبيه بهذه المعجزة عن سائر إخوانه من الأنبياء كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحي أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة" [2].

وفى تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن بالذكر هنا دون المعجزات الأخرى التي أعطيها- والتي تزيد على الألف- إشارة إلى عظم هذه المعجزة ومكانتها حتى أنه أصبح غيرها بالنسبة إليها كلا شيء لشيء.

ولقد تضمنت هذه المعجزة وجوها متعددة من الإعجاز، فالقرآن الكريم معجز بلغته وفصاحته وبيانه وبلاغته وأحكامه وتشريعاته وبما حواه من أخبار وقصص، ومغيبات، وعلوم، فهو معجز من جميع الوجوه، ولقد تحدى الله قوم النبي صلى الله عليه وسلم على أن يأتوا بمثله أو بشيء منه، فالقرآن الكريم نزل بلغتهم فهم يعرفون حروفه ومعانيه، إضافة إلى أنه نزل في أوان وزمان بلغت فيه قريش ذروة الفصاحة والبلاغة والبيان، فلقد كان فيهم أولوا الأحلام والنهى والأفهام والألسن الحداد، والقرائح الجياد، والعقول السداد.

فالتحدي كان لهم بأمر يعرفون طريقه ولهم بجنسه عهد بل إنهم نبغوا فيه وبلغوا فيه ذروته.

ولذلك فقد توهم كفار قريش في بداية أمرهم أن باستطاعتهم الإتيان بمثله وقدروا أن في وسعهم معارضته فقالوا: (لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) [3].

فجاءهم التحدي من الله على ثلاث مراحل هي:

---

[1]) الآية (٩) من سورة الحجر

([2]) أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "بعثت بجوامع الكلم" واللفظ له، انظر فتح الباري (٣/ ٢٤٧) ح ٧٢٧٤.

([3]) الآية (٣١) من سورة الأنفال.

المرحلة الأولى:

التحدي بالإتيان بمثل القرآن وذلك كما جاء في قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) [١].

المرحلة الثانية:

تحداهم بالإتيان بعشر سور مثله حيث قال تبارك وتعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [٢].

المرحلة الثالثة:

حيث تحداهم تبارك وتعالى بالإتيان بسورة واحدة فقال تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [٣]، فعجزوا عن الإتيان بسورة واحدة مع شدة الاجتهاد وقوة الأسباب فقد كانوا حريصين على تكذيبه وإبطاله بكل طريق ولكن مع هذا كله فقد عجزوا عن ذلك.

ولقد أخبر الله بعجزهم عند تحديه إياهم بالإتيان بسورة من مثله فقال تعالى: (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [٤].

ولما عجزوا عن الإتيان بما تحداهم به قطع الله طمعهم على أن يأتوا بمثله فقال تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) [٥].

وبعد مرحلة قطع الطمع أنزل الله فواتح السور كـ (الم، الر، المر) وغيرها تقريعا وتوبيخا للكفار، مخبرا لهم أن ما تحداهم به مكون من حروف هي حروف العربية التي يتحدثون بها

---

(١) الآيتان (٣٣- ٣٤) من سورة الطور.

(٢) الآية (١٣) من سورة هود.

(٣) الآية (٢٣) من سورة البقرة.

(٤) الآية (٢٤) من سورة البقرة.

(٥) الآية (٨) من سورة الإسراء.

والتي بلغوا ذروتها فهم أفصح العرب، والقرآن نزل بلغة العرب، ولقد جرت سنة الله بأن يعطي كل رسول من المعجزات ما يناسب ما اشتهر به قومه، فلقد أعطى موسى العصا لاشتهار من أرسل إليهم بالسحر وما يتعلق به، وأعطى عيسى معجزة إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى لاشتهار قومه بالطب وهكذا، فأعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم القرآن لما اشتهرت به قريش من الفصاحة والبيان.

فهذا ما كان من أمر التحدي الذى تحدى الله به أهل مكة وغيرهم من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، وسأعرض لذكر بعض جوانب هذا الإعجاز القرآني الذى عجز الكفار أن يأتوا بمثل هذا القرآن من جهتها **وهى ما يلي:**

أولا: تحداهم بفصاحة القرآن وعلو أسلوبه، وأحكامه، ودقة تعبيره، ولذا تكلف بعض سفهاء الأحلام منهم أن يأتوا بسور خيل لهم أنها على نمطه وشاكلته، فأضحكوا على أنفسهم العقلاء، وأما ذووا العقل والرأي منهم فأسلموا أنفسهم إلى العجز وأيقنوا من قرارة نفوسهم أنه الحق وأنه من عند الله لا من كلام البشر ولكن أكثرهم يجهلون فأبوا إلا الكفر أنفة واستكبارا.

ثانيا:تحداهم بتشريعه الكامل الموافق لمقتضى العقل والفطرة، الهادي جميع البشر إلى سواء السبيل من جوانب الحياة كلها عقيدة وعبادة واقتصادا وسياسة وأدبا وأخلاقا مع بقاءه كذلك صالحا لهداية العالم وإصلاحه في جميع جوانب الحياة إلى يوم القيامة.

ثالثا: تحداهم بما تضمنه القرآن من الأخبار الغيبية التفصيلية المسهبة، وبوقوف الرسول صلى الله عليه وسلم من إخوانه المرسلين السابقين موقف المصدق لهم المبين لتحريف أقوامهم شرائعهم، المعلن لخزاياهم وفضائحهم في خروجهم على أنبيائهم بيان الواثق بنفسه المؤمن بما أوحي إليه من ربه، وهو أمي عاش في أمة أمية، ومن أمته أهل الكتاب الذين فضحهم بسوء صنيعهم مع رسلهم وفى شرائعهم ومع ذلك لاذوا بالصمت ولم يردوا عليه ما

اتهمهم به تبرئة لأنفسهم ودفعا للنقيصة والعار عنها، فكان ذلك إيذانا بأنه رسول الله الصادق الأمين وأن ما جاء به إنما هو وحي من رب العالمين[1].

ولقد تضمن القرآن الكريم جوانب أخرى من الإعجاز فنحن في زمان انتشر فيه سلطان العلم المادي وتباهى الإنسان بمعرفته لكثير من الأمور التي خفيت عمن قبله من الأجيال، ولكن كثيرا من هذه الأمور التي يدعي الإنسان اكتشافها ومعرفتها، نجد أن القرآن الكريم قد تحدث عنها وبينها فعلى سبيل المثال تكوين الإنسان في بطن أمه تحدثت عنه آيات كثيرة من القرآن قبل أربعة عشر قرنا من الزمان بينما لم يتعرف علماء الطب على ذلك إلا في زمن متأخر وكذا الأمر بالنسبة لكثير من الأمور الأخرى كتكوين الأرض وعلوم البحار وعلوم الحيوان وشتى أنواع العلوم الأخرى، وقد اهتم عدد من العلماء المسلمين بهذا الشأن فوضوعوا ما يسمى "بهيئة الإعجاز العلمي في القرآن" لبيان سبق القرآن في توضيح كثير من أمور العلم التي يدعي كثير من العلماء الماديين أنها لم تعرف إلا في هذا الزمان.

وهذا كله شاهد بأن كتاب الله العزيز يبقى المعجزة الخالدة التي لا تنتهي عجائبها، قال تعالى:(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً) [2] فلقرآن يبقى معجزا في عصر العلم كما كان معجزا في عصر الفصاحة والبلاغة

ب- انشقاق القمر:

قال تعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ)[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: "أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر"[1].

([1]) انظر مجلة البحوث الإسلامية، العدد التاسع (ص ٢٧- ٢٨) مقال بعنوان بيان ما يسمى معجزة محمد الخالدة والمعجزة القرآنية إعداد هيئة كبار العلماء.

(٢) الآية (٨٩) من سورة الإسراء.

(٣) سورة القمر (١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "انشق القمر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم شقين، فقال: "اشهدوا"[٢].

ج- نبع الماء بين أصابعه:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بإناء وهو الزوراء[٣] فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم. قال قتادة: قلت لأنس كم كنتم؟، قال: ثلاثمائة، أو زهاء ثلاثمائة"[٤] وقد روى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود.

د- إشباع العدد الكثير من الطعام القليل:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟، قالت: نعم، فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا لها، فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي، ولاثتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آرسلك أبو طلحة؟" ، فقلت: نعم. قال: بطعام؟، قلت: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه: "قوموا"، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته. فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب: باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية، فأراهم انشقاق القمر. انظر: فتح الباري (٦/ ٦٣١) ح ٣٦٣٧

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب: باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية، فأراهم انشقاق القمر. انظر: فتح الباري (٦/ ٦٣١) ح ٣٦٣٦.

(٣) الزوراء: موضع بالمدينة عند سوقها في ذلك الوقت. وفاء الوفاء (٤/ ١٢٢٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام. انظر: فتح الباري (٥٨٠/٦) ح ٣٥٧٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (٧/ ٤٩)

عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هلمي يا أم سليم ما عندك" ، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت، وعصرت أم سليم عكة فأدمته، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء أن يقول. ثم قال: "ائذن لعشرة" فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: "ائذن لعشرة" فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: "ائذن لعشرة" فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: "ائذن لعشرة" فأكل القوم حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا"[١].

وأحاديث تكثير الطعام القليل تعددت، وتكررت في مواطن متعددة ورويت عن بضعة عشر من الصحابة، ورواها عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يُعد بعدهم، وأكثر هذه الأحاديث مروية في الصحيح وأكثرها في قصص مشهورة، ومجامع مشهورة، ولا يمكن التحدث عنها إلا بالحق، ولا يسكت

فيجب على كل مسلم أن يتدبر في دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ويطَّلع عليها، فإن فيها عظة وعبرة وتزيد من إيمان المرء ويقينه بنبوة خاتم المرسلين وإمامهم، الذي أعطاه الله من الآيات والبراهين ما لم يعط أحدا من الأنبياء قبله.

الفرق بين المعجزة والكرامة

أولا: التعريف بالمعجزة :

المعجزة لغة:من عجز، يعجز، وهو الضعف، وهي هنا ضد القدرة[٢]. وجاءت لفظة المعجزة بفتح الجيم وكسرها، وهي مفعله من العجز: أي عدم القدرة، وعجز عن الأمر: أي قصر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب: باب، علامات النبوة في الإسلام. انظر فتح الباري (٦/ ٥٨٦) ح ٣٥٧٨.

(٢)انظر: المفردات للأصفهاني، ص ٣٩١، مادة عجز.

عنه[١]، وجاءت "الهاء" في المعجزة: للمبالغة في الخبر عن عجز المرسل إليهم عن المعارضة، كقولهم "علامة" و "تستابة"[٢].

المعجزة اصطلاحا:هى أمر ممكن عقلا، مخالفة للعادة، يجريها الله على يد أحد الأنبياء، وتكون مقرونة بدعوى النبوة، وموافقة لدعواه على وجه يعجز المنكرون عن الإتيان بمثلها.

وقد ورد لها مجموعة من التعريفات عند العلماء، فقد عرفها الباجوري بقوله:"هي أمر خارق للعادة يجريه الله على يد مدعي النبوة مقترنة بالتحدي مع عدم المعارضة"[٣]. وعرفها علماء الأصول: بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة[٤]، وعرفها الجرجاني بأنها: أمر خارق للعادة، داعية إلى الخير والسعادة، مقرونة بدعوى النبوة ، قصد به إظهار صدق من أدعى أنه رسول من الله فهي إذن أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، يجريه الله على يد أنبيائه ورسله لتكون دليلا على صدق ما يدعونه[٥].

والله سبحانه وتعالى يجري المعجزات على أيدي أنبيائه ورسله، فتخرق المعتاد والمألوف في قوانين الكون وأنظمته حتى تضع المكذب أمام البرهان الواضح الدال على صدق الرسول أو النبى، كى تقوم الحجة على الناس، ولا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم فقد وقعت المعجزات على يد المرسلين قبل رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك ما وقع لسيدنا عيسى عليه السلام من نطقه في المهد، وإحياء الموتى، وما حدث لموسى عليه

---

(١)انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢/ ٦٩١، مادة عجز.

(٢)انظر: شرح المصطلحات الكلامية، مجمع البحوث الإسلامية، ص ٣٣٣،

(٣) شرح جوهرة التوحيد، للإمام إبراهيم الباجوري، تنسيق عبد الكريم الرفاعي، ص٢٢٠

(٤) الأربعين في أصول الدين، للإمام فخر الدين الرازي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ١/ ٣٨٨

(٥) شرح المقاصد، مسعود عمر سعد الدين التفتازاني، تحقيق عبد الرحمن عميره، ١١/ ٥ ، ، وانظر العقيدة الإسلامية وأسسها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص ٣٨٣،

السلام من قلب العصا ثعبان وانفلاق البحر، وكذلك ناقة صالح عليه السلام. ونار سيدنا إبراهيم عليه السلام.

أمثلة لبعض معجزات الأنبياء :

فمن معجزات صالح عليه السلام أن قومه طلبوا منه أن يخرج لهم من صخرة عينوها له ناقة ثم حددوا صفات الناقة فدعا ربه بذلك فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة على الوجه الذي طلبوا[١]. يقول الله تعالى في ذلك :(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[٢] .

ومن معجزات إبراهيم عليه السلام جعل الله النار التي أشعلها قومه لتعذيبه وإهلاكه ثم ألقوه فيها بردا وسلاما عليه، قال تعالى:(قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ *وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ)[٣] .

ومن معجزات موسى عليه السلام العصا التي كانت تتحول إلى حية عظيمة إذا ألقاها إلى الأرض ، قال تعالى:(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى)[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٣٦/٣.

(٢) الأعراف (٧٣).

(٣) الأنبياء (٦٨- ٧٠).

(٤) طه (١٧- ٢١).

ومن معجزات موسى أيضا أنه كان يدخل يده في درع قميصه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء تتلألأ كالقمر من غير سوء قال تعالى: (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى)[١].

ومن معجزات عيسى عليه السلام أنه يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم ينفخ فيها فتكون طيورا بإذن الله، ويمسح الأكمه – وهو المولود أعمى– والأبرص فيبرآن بإذن الله ، وينادي الموتى في قبورهم فيجيبون بإذن الله . قال تعالى :(وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي)[٢].

ومن معجزات نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم القرآن العظيم وهو أعظم معجزات الرسل على الإطلاق . قال تعالى :(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[٣] . وقال تعالى : (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[٤].
ومن معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم انشقاق القمر عندما سأل أهل مكة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم آية فانشق القمر شقين فرآه أهل مكة ورآه غيرهم . قال تعالى : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)[٥].

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام الإسراء والمعراج، قال تعالى:
(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى)[٦]

---

(١) طه (٢٢).
(٢) المائدة (١١٠).
(٣) البقرة (٢٣) .
(٤) الإسراء (٨٨).
(٥) القمر (١).
(٦) الإسراء (١).

ومعجزات الرسل كثيرة خصوصًا معجزات نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّم فإن الله أيده بكثير من الآيات والبراهين التي لم تجتمع لنبي قبله وما سقته هنا إنما هو للتمثيل فقط .

ثانيا : التعريف بالكرامة :

الكرامة : أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح .

فمعنى أمر خارق للعادة : أخرج ما كان على وفق العادة من أعمال.

وغير مقرون بدعوى النبوة : أخرج معجزات الأنبياء .

ولا هو مقدمة لها : أخرج الإرهاص وهو كل خارق تقَدم النبوة .

ويظهر على يد عبد ظاهر الصلاح أخرج ما يجري على أيدي السحرة والكهان فهو سحر وشعبذة .

وكرامات الأولياء كثيرة منها ما ثبت في حق بعض الصالحين من الأمم الماضية . ومن ذلك ما أخبر الله به عن مريم عليها السلام . قال تعالى : (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)[1] .

ومنها : ما أخبر الله به عن أهل الكهف على ما قص الله ذلك في كتابه .

ومن كرامات الأولياء من هذه الأمة ما ثبت في حق أسيد بن حضير رضي الله عنه أنه كان يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته . وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنه . وكان سلمان وأبو الدرداء رضي الله عنهما يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها . وخبيب بن عدي رضي الله عنه كان أسيرا عند المشركَين بمكة شرفها الله تعالى وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة .

([1]) آل عمران (٣٧).

ومر العلاء الحضرمي رضي الله عنه بجيشه فوق البحر على خيولهم فما ابتلت سروج خيولهم . ووقع أبو مسلم الخولاني رحمه الله في أسر الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : ما أسمع . قال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم . فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه يصلي فيها وقد صارت بردا وسلاما ، وغير ذلك كثير مما هو منقول في كتب السير والتاريخ .

الفرق بين المعجزة والكرامة :

الفرق بين المعجزة والكرامة : أن المعجزة تكون مقرونة بدعوى النبوة . بخلاف الكرامة فإن صاحبها لا يدعي النبوة وإنما حصلت له الكرامة باتباعَ النبي والاستقامة على شرعه. فالمعجزة للنبي والكرامة للولي . وجماعهما الأمر الخارق للعادة.

وذهب بعض الأئمة من العلماء : إلى أن كرامات الأولياء في الحقيقة تدخل في معجزات الأنبياء لأن الكرامات إنما حصلت للولي باتباع الرسول ، فكل كرامة لولي هي من معجزات رسوله الذي يعبد الله بشرعه.

ومن هذا يتبين أن إطلاق المعجزة على خوارق الأنبياء والكرامة على خوارق الأولياء معنيان اصطلاحيان ليسا موجودين في الكتاب والسنة وإنما اصطلح عليهما العلماء فيما بعد وإن كانا في مدلولهما يرجعان إلى ما تقرر في النصوص من الحق.[1]

إذا عرفنا مما سبق معنى الكرامة وحقيقتها ، فنقول على وجه التساؤل : هل هناك ما يمنع من وقوع الكرامات للأولياء والصالحين ؟ .

ثم إذا لم يكن هناك ما يمنع من وقوعها ، فهل هي واقعة أو لا؟ ونجيب على هذا التساؤل من الناحيتين :

([1])كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة،لنخبة من العلماء ، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.

الناحية الأولى : – إذا عرفنا أن الكرامة من الأمور الممكنة عقلا، وأن كل ما هو ممكن عقلا يجوز بالنظر لذاته أن تتناوله قدرة الخالق العظيم بالخلق والإيجاد ، لحكمة يعلمها هو ، نعلم يقينا أنه لا حجر على الله تعالى وهو الفعال لما يريد في أن يكرم من يشاء من خلقه ، بما يشاء من صور الإكرام .

وكما أن بعض الناس يكرمهم الله في مجرى العادات بمنحة العلم ، أو القوة الجسمانية ، أو الرياسة أو السيادة ، أو المال والبنين ، فكذلك لا حجر عليه سبحانه في أن يكرم بعض عباده بأن يجري على أيديهم بعض خوارق العادات ، و قد تكون بعض المنح الربانية الأخرى أفضل وأجل من الإكرام ببعض الخوارق .

ألا نرى أن الله سبحانه جعل من مكافأة المتقين مثلا :

أ– أن يفتح لهم آفاق العلم ، في قوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[1]

ب – وأن يجعل لهم مخرجا ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، في قوله تعالى:(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)[2]

ج– كما جعل من مكافأة الذين ينصرون دينه النصر والتأييد والسيادة في الأرض ، وذلك بتهيئة الأسباب ، ودفع الموانع وإلقاء الرعب في قلب العدو ، وذلك في مثل قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[3] وأشباه ذلك كثيرة في إكرامات الله سبحانه .

([1]) البقرة (٢٨٢)

([2]) الطلاق (٢–٣).

([3]) محمد (٧).

وظاهر أن الإكرام بالعلم أو التأييد بالنصر ، أجل وأرفع من الإكرام مثلا بمشي على الماء ، أو طيران في الهواء، أو طي للمسافات البعيدة في زمن قصير أو فتح أبواب مغلقة ، أو تحضير طعام وشراب في مكان ليس فيه ذلك من دون أساى مادية ظاهرة.

و بهذا الدليل تعلم أن الكرامات جائزة الوقوع، وأنه لا مانع من أن يجريها الله على يد بعض الصالحين من عباده ، إكراما لهم و تأييد للرسول الذين هم من أتباعه.

الناحية الثانية :

وإذا ثبت لدينا أن الكرامات ممكنة عقلا ، ولا مانع من وقوعها ، حق لنا أن نتساءل عن ثبوت وقوعها بالفعل : هل ثبت وقوع الكرامات بطريق يقيني قاطع ، أو لم يثبت ؟

ونجيب على هذا التساؤل بما يلي :

أولا– إن صور كثيرة من الكرامات قد أثبتها القرآن الكريم .

ثانيا– إن أمثلة منها قد أثبتتها أحاديث الرسول الصحيحة، التي تعطي بمجموعها تواترة بالمعنى مثبتا وقوع الكرامات للصالحين بوجه عام.

ثالثا– إن أمثلة أخرى منها وردت في آثار كثيرة عن الصحابة والتابعين وغيرهم، لا داعي لإنكارها بوجه عام.على أنه متى ظهرت أمارات الصدق في طريق روايتها سلمنا بها، ولم يضرنا التسليم ، ما لم يكن موضوع الكرامة المنسوبة لشخص ما يتضمن مخالفة لظاهر الشرع، أو التغاضي عن المعاصي و المنكرات، أو الرضا بتعطيل أحكام الله ، أو نحو ذلك. فإن تضمنت شيئا من ذلك رفضناها رفضا باتا، بل هي ليست بكرامة في حقيقتها وإنما هي إن صحت ضلالة من ضلالات الشياطين .

ونعرض فيما يلي أمثلة من الكرامات ثبتت في القرآن بيقين، وأخرى ثبتت في الأحاديث النبوية بأسانيد صحيحة، وبذا أخرى وردت عن بعض الصحابة في الآثار الصحيحة و المقبولة .

(١) ما ثبت في القرآن الكريم من الكرامات

أ- **قصة أهل الكهف** التي قصها الله علينا في سورة الكهف : " . وقصة هؤلاء : أنهم فتية مؤمنون فروا من ظلم الملك الكافر الذي كان في زمانهم ، فأووا إلى كهف في بعض الجمال ، فأماتهم الله ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعة ، ثم بعثهم بعد ذلك و أيقظهم من نومهم الطويل[١] .

وهذا الأمر من خوارق العادات بالنسبة إلى البشر ، وقد أكرمهم الله بذلك وهم فتية مؤمنون صالحون وليسوا بأنبياء، وقد أجمل القرآن تفصيلها فى قوله تعالى (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا)[٢].

وفي الآية جرى تسمية إنامتهم هذه السنين العديدة "آية" ، ومعنى ذلك : أنه أمر خارق للعادة، ولكن كونه كذلك بالإضافة إلى قدرة الله القادرة التي خلقت السماوات والأرض، ليس أمرًا يستدعي التعجب أو الاستغراب من أن يجري الله سبحانه مثل هذا الأمر الممكن في مقاييس العقل .

ومن هذا نرى أن الآية تثبت ما يلي :

أولا: تثبت وقوع الكرامة لهؤلاء الفتية بالخبر القرآني الصادق .

---

(١) ذكر المؤرخون : أن هؤلاء الفتية كانوا على دين النصرانية بمدينة ، أفسوسن ، أو : الطرسوس »، وقد فروا من الملك « دقيوس ، ويقال : دقيانوس ، وقد حكم هذا :الملك سنة واحدة من سنة ٢٣٦ إلى سنة ٢٣٧ ميلادية ، وكان هذا الملك قد خرج على سلفه « غور ذيانوس » الذي تنصر ، وتولى مكانه و أعاد عبادة الأصنام و دين الصابئين ، وتتبع النصارى يقتلهم ، ومنه هرب الفتية أصحاب الكهف .

(٢) الكهف (٩- ١٢).

ثانيا: تشير إلى أن مثل هذه الخوارق من الأمور الهينة الممكنة عقلا ، إذا أضيفت إلى قدرة الله تعالى، ثم جاء نقلها بطريق الخبر الصادق ، تقبلتها بقول بالتسليم دون نزاع أو تردد .

ب – كرامات السيدة مريم :

الكرامة الأولى : كان يوجد عندها رزقها في محرابها المنعزل، دون أن يأتيها به إنسان، ودون سبب مادي آخر وهذا من الأمور الخارقة للعادة بالنظر إلى مقتضى الأسباب الكونية المحسوسة .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الكرامة يقول الله تعالى :(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)[1].

الكرامة الثانية : حملها بعيسى عليه السلام دون أن يمسها بشر.

وهذا أمر من خوارق العادات في التناسل، ويلاحظ في هذا الخارق : أنه كرامة بالنسبة إلى مريم ، وإرهاص بالنسبة إلى عيسى عليه السلام ..

وقد أثبت القرآن هذه الكرامة في عرض قصتها، فقال تعالى:(قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[2].

الكرامة الثالثة : لما أحست مريم بقرب ساعات الوضع، ابتعدت عن أهلها إلى مكان خال في الجهة الشرقية بالنسبة إلى منازل أهلها، وجلست إلى جانب شجرة من أشجار النخيل التي لا تمر فيها،وحصلت لها من المساعدات الربانية في وضعها أمور كثيرة، منها: تساقط

([1]) آل عمران (٣٧).

([2]) آل عمران (٤٧).

الرطب عليها من النخلة غير المثمرة لما هزت جذعها قال الله تعالى:(فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا)[1] .

الكرامة الرابعة: لما وضعت ابنها عيسى عليه السلام حملته وجاءت به إلى قومها، فجعلوا يوجهون إليها الأسئلة المتندرة، ويجرحونها بالاتهامات الساخرة، وهي صامتة لا تحير جواب، وألحوا في استجوابها عن سبب حملها الذي لم يتصوروا فيه على حد تفكيرهم الضيق إلا الفاحشة وهي منها براء، فأشارت إلى ولدها الرضيع ،قال تعالى في حكاية قصتها :

(فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا* وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا* وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)[2].

وكلام عيسى في المهد بالنظر إلى تبرئة أمه كرامة لها، وبالنظر إليه بالذات إرهاص بنبوته.

ج- كرامة آصف صاحب سليمان عليه السلام :

وهي ما كان من قصة إحضار عرش بلقيس – ملكة سبأ في اليمن – من مسافات بعيدة في طرفة عين ؛ إلى سليمان عليه السلام و هو في بيت المقدس، وذلك من قبل أحد المؤمنين الذي عنده علم من الكتاب من أصحابه ، قالوا : واسمه (آصف) وقد نوه القرآن بذلك في قوله تعالى:(قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ* قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ* قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)[3].

([1]) مريم (٢٥).

([2]) مريم (٢٩-٣٣).

([3]) النمل (٣٨-٤٠).

وبعض المفسرين يجنح إلى أن الذي عنده علم من الكتاب هو سليمان نفسه، ويجعل نقل العرش معجزة لسليمان، ولكن الظاهر من حكاية القصة كما وردت في القرآن لا يؤيد ما جنح إليه.

د- كرامة السيدة عائشة رضي الله عنها :

إن نزول الآيات القرآنية ببراءة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مما اتهمها به أهل الإفك من الكرامات الكبرى لها؛ لأن العادة جرت بأن يعتمد على الأسباب القضائية في الإدانة أو البراءة، أما أن ينزل الوحي بذلك، وينزل به قرآن ، فذلك مما لم تجر به العادات ، فهو كرامة معنوية ذات شأن .

(٢) بعض ما ثبت في الأحاديث النبوية من الكرامات

لقد وردت في الصحاح أحاديث كثيرة عن النبي ، تثبت الكز امات لبعض الصالحين من الأمم السابقة ؛ ونعتقد أن جملة هذه الأحاديث بالنظر إلى كثرتها تثبت بشكل متواتر قطعي وقوع.

وإليك بعض الأمثلة مما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك :

أولا – قصة ثلاثة نفر من الأمم السابقة انطلقوا حتى آواهم المبيت إلى غار ، فانحدرت صخرة كبيرة من الجبل فسدت عليهم مدخل الغار ، فدعوا الله بصالح أعمالهم، فانفرجت الصخرة بقدرة الله بسبب دعواتهم ، وخرجوا يمشون .

ثانيا – قصة غلام نشأ في اليمن في عهد ملك من ملوك حمير ، استعبد الناس وحجبهم عن الإيمان بالله ، وقد كان لهذا الملك ساحر، فلما كبر الساحر قال الملك : إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر ، فاختار الملك غلاما وبعث به إليه، وتتلمذ هذا الغلام على الساحر، وأراد الله بالغلام خيرا ، فكان يتصل براهب يأخذ عنه الدين والعبادة ، وكان مكان الراهب بين منزل أهل الغلام و بين مكان الساحر ، وكان يحتال لتبرير تأخره عن الساحر

صباحا وعن أهله مساء. ثم تقدم : هذا الغلام في درجات التقوى ، حتى أجرى الله على يديه كرامات كثيرة ، منها : .

ا- اعترضت دابة كبيرة مخيفة طريق الناس فحبستهم عن المسير ، فأخذ حجر فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس ، فرماها فقتلها.

٢- بلغ من أمره أنه أصبح بعد ذلك يدعو الله تعالى للمرضى فيبرىء الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء ، ويتخذ ذلك وسيلة لهداية الناس و دعوتهم إلى الإيمان بالله .

٣- لما رأى الملك أن بعض الناس آمنوا بالله خالق السموات و الأرض حقد عليهم فنشرهم بالمناشير ؛ و تتبع الخبر حتى عرف أن مصدر ذلك هو الغلام الذي دعاه لتعلم السحر ، فدعا الغلام و أمره بالرجوع عن دينه فأبي ، فأمر بعذابه ، فأكرمه الله بكرامات ثلاث :

الكرامة الأولى : أرسله الملك مع نفر من جنوده ليلقوه من ذروة جبل إذا لم يرجع عن دينه ، فدعا الغلام الله تعالى أن يكفيه أمر هؤلاء ، فرجف

بهم الجبل ، فهووا صرعى ورجع هو سالما .

الكرامة الثانية:ثم أرسله ثانية مع نفر آخرين ليركبوه في زورق، ويتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا رموه في البحر، فلما توسطوا – البحر به دعا الغلام الله تعالى فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأ الزورق فغرق الجنود ورجع.

الكرامة الثالثة: وأخيرا قال الغلام للملك: إنك لست بقائلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع ، ثم تأخذ سهما من كناني ، ثم تضع السهم في كبد القوس ، ثم تقول : باسم الله رب الغلام، ثم ترمي ، فإذا فعلت ذلك قتلني ، فجمع الملك الناس وفعل

مثل ما قال له الغلام ، ثم رماه فوقع السهم في صدغ الغلام ، فوضع يده في صدغه فمات ، فلما رأى الناس ذلك قالوا : آمنا برب الغلام.

٤- حقد الملك على الناس الذين آمنوا بالله تعالى ، فأمر بحفر الأخاديد في أفواه السكك ، فحفرت وأضرمت فيها النيران، وأمر أن يلقى فيها كل من لم يرجع عن دينه ، ففعل جنوده ذلك. حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها رضيع ، فتقاعست أن تقع في النار شفقة على طفلها ، فقال لها الرضيع : يا أه اصبري فإنك على حق !! فكان نطق هذا الرضيع كرامة لأمه المؤمنة الصابرة .

ولقد أشار القرآن إلى قصة أصحاب الأخدود في قوله تعالى:(قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)[١]

ثالثا : قصة العابد جريج ، وتكلم الصبي الرضيع ببراءته مما اتهم به من الزنى يقول النبي – صلى الله عليه وسلم :(وكان في بني إسرائيل رجل يقال له: جريج، كان يصلي ، فجاءته أمه فدعته، فقال:أجيبها أو أصلي ؟ فقالت: اللهم لا منه حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة فكلمته فأبي، فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاما، فقالت: من جريج. فأتوه فكسروا صومعته، وأنزلوه وسبوه ، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام ، فقال : الراعي ، فقالوا : أنبني لك صومعتك من ذهب ؟ فقال : لا ، إلا من طين)[٢].

وفي هذا الحديث كرامة ظاهرة لجريج الراهب المتعبد.

---

(١) البروج (٤-٨).

(٢) صحيح البخارى رقم الحديث (٢٣٥٠).

(٣) مما ورد في الآثار عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم من الكرامات

أولا – تكثير الطعام لأبي بكر رضي الله عنه:

فعن عبد الرحمن بن أبي بكر قال : (أن أصحاب الصفة، كانوا أناسا فقراء وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وإن أربع فخامس أو سادس» وأن أبا بكر جاء بثلاثة، فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة، قال: فهو أنا وأبي وأمي – فلا أدري قال: وامرأتي وخادم – بيننا وبين بيت أبي بكر، وإن أبا بكر تعشى عند النبي صلى الله عليه وسلم، ثم لبث حيث صليت العشاء، ثم رجع، فلبث حتى تعشى النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله، قالت له امرأته: وما حبسك عن أضيافك – أو قالت: ضيفك – قال: أوما عشيتيهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء، قد عرضوا فأبوا، قال: فذهبت أنا فاختبأت، فقال يا غنثر فجدع وسب، وقال: كلوا لا هنيئا، فقال: والله لا أطعمه أبدا، وايم الله، ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها – قال: يعني حتى شبعوا – وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر فإذا هي كما هي أو أكثر منها، فقال لامرأته: يا أخت بني فراس ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني، لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، فأكل منها أبو بكر، وقال: إنما كان ذلك من الشيطان – يعني يمينه – ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأصبحت عنده، وكان بيننا وبين قوم عقد، فمضى الأجل، ففرقنا اثنا عشر رجلا، مع كل رجل منهم أناس، الله أعلم كم مع كل رجل، فأكلوا منها أجمعون، أو كما قال"[١]

ثانيا : ومن كرامات عمر رضي الله عنه ما يلي :

١- عن ابن عمر رضى الله عنهما : (أن عمر بعث جيشا ، وأمر عليهم رجلا يدعى سارية ، فبينما عمر يخطب ، فجعل يصيح : يا ساري الجبل ! فقدم رسول من الجيش فقال

([١]) صحيح البخارى رقم الحديث (٥٧٧) .

: يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا ، فإذا بصائح يصيح : يا ساري الجبل، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل ، فهزمهم الله تعالى)[1]

٢ – الإلهامات الكثيرة التي كان يلهمها . شهد له بذلك الرسول صلى الله علية وسلم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله عل : (إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب).[2]

ثالثا: كرامة سفينة مولى رسول الله :

عن ابن المنكدر :(أن سفينة مولى رسول الله عنه أخطأ الجيش بأرض الروم، أو أسر فانطلق هاربا يلتمس الجيش ، فإذا هو بالأسد، فقال : يا أبا الحارث – وهي كنية الأسد – أنا مولى رسول الله علي ، كان من أمري

كيت وكيت ، فأقبل الأسد، له بصبصة – البصبصة : تحريك الذنب – حتى قام إلى جنبه ، كلما سمع صوتا أهوى إليه ، ثم أقبل يمشي إلى جنبه حتى بلغ الجيش ، ثم رجع الأسد).[3]

ومما سبق يمكن القول : أن الكرامة من الأمور الثابتة قطعة ، والتي لا يشك بها . مسلم نظر في هذه الأدلة السابقة ، وفي نظائرها .

وأن من ينكرها – من حيث هي – فإنما ينكر شيئا شهدت بإمكانه الأدلة العقلية، وتظاهرت على إثبات وقوعه فعلا الأدلة الشرعية المتواترة من قرآن و سنة ، بلغت في معناها مبلغ التواتر على ما نعتقد، ولا داعي أيضا لإنكار مفردات الكرامات متى ثبتت الحادثة بطريق صحيح

([1]) رواه البيهقي في دلائل النبوة ، ورواه ابن عساكر وغيره بإسناد حسن.

([2]) صحيح البخارى رقم الحديث (٣٢٨٢).

([3]) رواه الحاكم فى مستدركه وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

ولكن الكرامة لا تعني في واقعنا الديني – بالنسبة إلى الشخص الذي جرت على يديه – شيئا زائدة على أنواع الإكرامات الأخرى، التي جرت العادة بأن يكرم الله بها عباده ، فلا ينبغي أن يعلق عليها كبير اهتمام ، إلا في ناحية تثبيت العقيدة بقدرة الله القادر .

فالكرامات حوادث خاصة يكرم الله بها بعض المتقين ، فلا يصح أن تتخذ ذريعة لإثبات أحكام شرعية أو نفيها فالأحكام الشرعية لها مصادرها .كما لا يصح أن تتخذ ذريعة للتفاخر ، أو تحصيل الأموال ، وإلا كانت استدراجا ووبالا على صاحبها .

فالله سبحانه قد يكرم بالمال، وقد يكرم بالجاه، وقد يكرم بالعلم، وقد يكرم ببعض خوارق العادات .

وهذه الإكرامات على اختلاف أنواعها قد تكون وسيلة لتثبيت إيمان من جرت له، وقد تكون امتحان له وابتلاء ، وقد تكون استدراجا له من الله ، فإذا استمر على معصيته بعدها كانت و بالا عليه ونكالا به ، وحجة عليه من الله تعالى ، ولا يصح بحال من الأحوال الاغترار بأصحاب الكرامات إذا لم يكونوا ملتزمين لأحكام الشريعة ، متقيدين بأوامرها ونواهيها .

قال يونس بن عبد الأعلى الصفدي : قلت للشافعي : كان الليث بن سعد يقول : إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة » ! فقال الشافعي : «قصر الليث رحمه الله ، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة .[1]

([1]) للمزيد انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها ص (٤١١).